

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

خط المواجهة



Looloo

www.helmelarab.net

لقد أضع الكل على أنه من المستحيل أن يجد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة اختبارات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - رصاصنة ..

صبر رئيس قسم العمليات الخارجية ، في إدارة المقابر العامة المصرية ، ذلك العمر الطويل ، الذى يقود إلى حجرة مدير المقابر ، في خطوات سريعة واسعة ، وقد ارتفعت على وجهه المربع دلائل الاهتمام والانشغال الشديدين ، حتى بلغ حجرة المدير ، فلقى بابها ، وسمع صوت المدير يدعو للفتول ، فدفق الباب ، وولج الحجرة في خطوة واحدة ، وهو يقول :

- خيرا ياسيدى .. لقد حضرت فور استدعائك لى .. أهو أمر

بالغ الطعنة إلى هذا الحد ؟

أشار إليه المدير بالجلوس ، وهو يقول :

- إلى حذما .. أنت تعرف بالطبع ، لماذا أرسلنا (حسام)

و(منى) إلى (نيويورك) .. أليس كذلك ؟

أجابته رئيس قسم العمليات الخارجية ، وهو يجلس على المقعد المواجه لمكتبه :

- بالطبع ياسيدى .. إنه عملى .. لقد أرسلناهما ، في محاولة

لإقناع عميلنا (هارولدوين) ، الذى كشف رجال المقابر

المركزية الأمريكية أمره ، ولقد بذلا قصارى جهدهما ، لإنهاء

مهمتهما بلجاح ، ولكنهما كاتبا بواجهان (جيمس فوستر) ، نائب مدير المخابرات الأمريكية ، والذي يحمل اسم (الثعلب) ، نشدة خبرته وذكائه ومهارته ، مما تسبب في فشل المهمة ، وإصابة (حسام) ، ونقله إلى مستشفى السجن المركزي ، كما تسبب في إلقاء القبض على (منى) ، وإبعادها سجن النساء الفيدرالي ، بتهمة التجسس ، وتكلمهم يقولون إن (حسام) قد عاد إلى هنا ، على متن طائرة خاصة .. أهدأ صديح يا سيدي ؟

أوما المدير برأسه إيجابيا ، وقال :

- نعم .. وهو يعالج الآن ، في مستشفى القوات المسلحة بالعقادي .

سأله الرجل في دغشة :

- وكيف عاد ؟

أجابته المدير في ضوضى :

- هذا ما استدعيتك بشأنه .

ثم تناول ملفا صغيرا ، وهو يستطرد :

- هذه كل المعلومات ، التي جمعها رجالنا في (نيويورك) ،

حول أحداث عجيبة وغامضة ، تنور لصالحنا ، في اليومين السابقين .. اقرأ الملف كله ، ثم أخبرني رأيك فيه ..

التقط الرجل الملف ، وراح يقرؤه في اهتمام ..

كان الملف يحوى معظم التفاصيل ، التي يمكن تسجيلها ، ولكنه لم يكن يحوى الحقائق الكاملة ، ولا الأسرار المغتفية خلف هذه الحقائق ..

لم يكن يضم القصة الخفية ، التي بدأت منذ اتصلت (منى) هاتفيا بـ (قذرى) ، من سجن النساء الفيدرالي ، وطلبت منه الاتصال بـ (أدهم) ، ليهب لتجديتها ..

لم يكن بإمكانها الاتصال مباشرة بـ (أدهم) ، خشية أن يتتبع أدهم المكاتبة ، ويتشكك في وجوده على قيد الحياة ..

وسافر (قذرى) ، من (القاهرة) إلى (كيبواوا) المكسيكية ، ليتلقى بـ (أميجو سانتو) ، أو (أدهم صبرى) ، ويخبره بما حدث ..

وعب (أدهم) من عزله ، وانطلق الرجل من عقابه ..

رجل المستحيل ..

ومع وصوله إلى (نيويورك) ، التفت كافة الأمور رأسا على عقب ..

وبدأت المعركة الحقيقية ..

المعركة التي أشعلت (نيويورك) ، ونجح خلالها (أدهم صبرى) في إنقاذ (حسام) ، وإعادته إلى (القاهرة) ..

وتدخل (الموساد) في العملية ..

أوكاد ..

وبدا النعيب (جيمس فوستر) يتخذ خطة قتالية جديدة ، في محاولة لانتزاع النصر ، من بين أبواب الهزيمة ، وللإيقاع بالرجل ، الذي أعطت كل أجهزة المخبرات في العالم مصرعه .. للإيقاع بـ (أدهم) .. (أدهم صبرى) ..

وفي نفس الوقت ، كانت (منى) تتعرض لمحاولات قتل في سجنها . بسبب كراهية الحارمة (هويا) لها ، واستعانتها بعدد من اشتر السجينات للتخلص منها ، وعلى رأسهن الزنجية الشرسة (سيريتا) ..

وفي محاولة لقتل (منى) ، نجحت (هويا) في إطلاق النار عليها ، وأصابتها ..

أصابها إصابة مباشرة (*) !

كل هذا لم يتضمنه التقرير ، وإن أشار إلى كل ما فعله (أدهم) في (نيويورك) ، وقد قرأ رئيس قسم العمليات الخارجية هذا التقرير ، وارتفع حاجباه في دهشة واضحة ، وهو يلتفت إلى مدير المخبرات ، قائلاً :

- عجباً !! رجل واحد ، أمكنه خداع الجميع ، واقتحاف أكثر

(*) المزيد من التفصيل ، راجع الجزئين الأول والثاني (لغة الشر) .
(النعيب) - المخابراتين رقم (٨٥) ، (٨٦) .

من شخصية بمهارة فذة ، وهزم طائرتين بمسلس واحد ، وأثار دهشة الجميع بمهارته المذهلة في القيادة !! .. لولا ما تتضمنه تكرارينا ، لجزمت ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أن هذا الرجل ليس سوى ..

قاطع مدير المخبرات ، وهو يتشم في ارتياح :

- (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟

تردد الرجل لحظات ، ثم قال :

- بالتأكيد .. ولكن كلانا يعلم أن هذا مستحيل .. لأن ..

قاطع المدير مرة أخرى :

- ولكن أحداً لم يضر على جثة (أدهم صبرى) قط

قال الرجل في حزم :

- ولا على جثة أى مخلوق ، فمن كانوا داخل وكر (بانثو

سبلاز) ، الذي استحال إلى تومة من الرماد بعد انفجاره (*)

قال المدير في هدوء :

- (أدهم) يختلف عن الآخرين .

هز رئيس قسم العمليات الخارجية رأسه ، وهو يقول في

حزم :

- حتى لو افترضنا أنه يختلف عن الآخرين ، وأنه نجح في

(*) راجع قصة (وكر الإرعاب) - المظاهرة رقم (٨٠) .

الفرار ، من الفجار هائل كهذا .. أين ذهب إذن ، طوال الفترة الماضية ؟ أين كان ؟ ولماذا لم يملن عن وجوده على قيد الحياة ؟

قال المدير في ارتياح :

- سبخرنا عن هذا بنفسه ، بعد أن يتم العملية .

حذى الرجل في وجه المدير لحظات في دهشة . ثم قال في حذر :

- سيدي .. لست أتفق معك في هذا .

أجابه المدير في هدوء :

- ولا أي شخص آخر .. للجميع يرفضون مجرد التفكير في الأمر ، والبعض يعتبرني معتوها ، لإيماني بالفكرة .

ارتبك رئيس قسم العمليات الخارجية ، وهو يقول في حرج :

- عفوا ياسيدي .. إني ..

قاطعه المدير بإشارة من يده ، وهو يواصل بنفس الهدوء والثقة :

- الشيء الذي لا يفهمه أحد منكم يا عزيزي ، هو أنني رجل عملي ، يفرض على موقعي هذا ضرورة النظر إلى كل الأمور بجذوية وحيدة كاملة ، واتخاذ القرار الحاسم ، بناء على ما لدى من معلومات ، بغض النظر عن منطقية الأمور وعدم منطقيتها .

فالحسم قد يحاول إرباكك أحيانا ، بترتيب الأمور على نحو يخالف منطقك ومشقته .. ومن هذا المنطلق ، قرأت التقرير جيدا ، وويظنه بعدد آخر من الأحداث ، مثل اتصال (متى) بـ (فدري) عبر المصعد ، ثم يسقى (فدري) المياضت إلى (المكسيك) ، وبعدها التقت فراري ، الذي أؤمن به تمام الإيمان .

واعتدل في مقعده ، وأضاف في حزم :

- وكل المعلومات تشير إلى أن (أنهم صيري) على قيد الحياة ، وإلى أنه يعمل - قائمعتاد - من أجل وقته .. من أجل (مصر) .

لم يكن يدرك لحظتها كم هو على حق ، كما لم يكن يعلم أن (سوليا جراهام) قد قرّرت دخول اللعبة بكل قوتها ، تصديا لـ (أنهم) ، الذي اتخذت قرارها . وهي تجلس أمام (إيريك باراهوتا) ، رئيس مكتب (الموساد) في (نيويورك) ، بوضوح أمر وجوده على قيد الحياة ، ووضعه - على الرغم منه - على الخط ..

خط المواجهة ..

★ ★ ★

كانت (متى) تقاتل في استماتة ، دفاعا عن حياتها . عندما تلقى جسدها رسالة (هويا) ..

أصابته الرصاصات تلك العظيمة ، التي تربط عنقها بكتفها الأيسر ، وأخترقتها ، مع نافورة ريفية من السماء ، لتستقر في رأس المرأة ، التي كانت تهم بشحطيم جمجمتها ..

وسقطت المرأة جثة هامدة ، وسقطت فوقها (منى) ، تقاتلها لاية رصاصات أخرى ، في حين أصيبت (هويا) بالجنون ، لقتلها في قتل (منى) ، فراحات تصرخ . وهي تلوح بين يديها : - لن تفلتي أيتها اللعينة .. لن تفلتي .

وفي نفس الوقت اندفعت امرأة أخرى نحو (منى) ، ورفعت هراوتها صالحة :

- لقد قتلت (جين) ، وستموتين أيتها الجاسوسة .

تقاتلت (منى) اتضربة بمعجزة ، وطوّخت هراوتها في وجه المرأة ، بكل ما تملك من قوة ، وسمعت صرختها . وهي تسقط أرضاً ، في حين تعالى وقع أقدام (هويا) ، وهي تطو نحو ذلك الطابق ، وقد انتهت جنون عارم ، يدفعها إلى قتل (منى) ، معها كان الثمن ..

وتولّحت (منى) وهي تكلب ..

كانت تواجه وحدها عالماً وحشياً رهيباً ..

عالماً من أشدس الوموش الآتية ، التي لا تعرف شفقة أو

رحمة ، ولا تتورع عن سحق طفل رضيع ، لمجرد أن يكادها لا يفلح لها ..

ولم تكن تدرك كيف تواجه (هويا) ، التي تصعد إليها بين يديها ، وهي تكاد تفلد وعيها على هذا النحو ، ولا تملك سوى هراوتها ، التي صارت عاجزة حتى عن حملها ..

ولها ، سمعت (سيرينا) ، تصرخ ، على أقدام واحد منها : - ستموتين أيتها اللعينة .. ستموتين .

أنفشتها أن استعادت (سيرينا) وعيها ، مع كل ما أصابها ، فالتفت إليها في حدة ، ورأيتها تمسك خنجرًا كبيرًا ، وتتلصص عليها بوجه أخرقته السماء ، وهي تصرخ :

- ستموتين أيتها اللعينة .

رفعت (منى) هراوتها ، لتصد هجوم (سيرينا) ، ولكن هذه الأخيرة ركلت الهراوة في عنق ، وأطارتها من يد (منى) ، ثم التفتت نحوها ، صارخة :

- قلت : ستموتين .

وهي تخنجرها على قلب (منى) ..

ولكن (منى) استجمعت كل قواها ، وانقبضت عضلاتها بكل ما يملأ لها من غريزة البقاء ، وأمسكت بمعصم (سيرينا) ، ثم هوت على وجهها بكلمة قوية ..

وتراجعت (سيرينا) في علف ، وأهلت الخنجر على الرغم
منها ، ولكنها لم تثبت أن عاودت انقضاضتها على (منى) .
صارخة :

- أيتها اللبنة :

أفرت (منى) جانباً ، للتفادي انقضاضة (سيرينا) ، التي اهتلت
توازنها واتسعت عيناها في زعر ، عندما وجدت نفسها تتدفع نحو
حاجز الشرفة ، وحاولت إيقاف اندفاعها ، ولكنها ارتطمت
بالحاجز ، ومال جسدها في قوة ، و...
وهوت ..

هوت (سيرينا) من الطابق الثاني للسجن ، وارتطم رأسها
بالأرض في قوة ، وتلجرت منه الدماء ، التي صنعت بركة
سريعة ، حول جثتها الهامدة ..

وفي نفس اللحظة ظهرت (هوبا) ..

ظهرت حاملة بندقيتها ، وصوبتها إلى (منى) ، وهي تقول
في شراسة :

- أنت قتلت (سيرينا) ، وتستحقين القتل .

ولم تصف كلمة واحدة ، بل مضطت زناد بندقيتها ، و...
وأطلقت النار ..

تطلع (إيزاك باراهودا) إلى (سونيا جراهام) في اهتمام كامل
وشديد ، وهو يسألها في لهجة أقرب إلى اللهفة :

- من هو زوجك (سونيا) ؟ .. ولماذا تتصورين أن نكر اسمه
يستحق كل هذا الاهتمام ؟

ترننت (سونيا) ، وهي تتطلع إليه ..

لقد قطعت المسافة ، من (كيبواوا) إلى (نيويورك) ، وبدخلها
رغبة عارمة في الانتقام من (أدم صيري) وتعظيمه ..

رغبة ولدها تجاهله لها ، والدفاعه للثود عن غريمتها
(منى) ، معطفا جذران عزلة ، وأسوار السرية ، التي بذلت
الفسى جهودها لإحاطته بها ..

كانت تعلم أن عوفته إلى عالم المغامرات تعنى ضرورة تخفيه
عنها ..

قانون تولته يحتم عليه هذا ..

وهي لا تحتمل فكرة ابتعادها عنها ..

إنها تحبه ..

تضله ..

لأول مرة في صرخا كته ، تعترف بأن رجلا ملك قلبها ، وغلب

لها ، ويهرها إلى هذا الحد ..

ولكنها تبغض كراهيته لها ..

وحية له (منى) ..

واليوم تفكر في كشف أمره ، والعمل على تحطيمه ، حتى لا يعود إلى (منى) ..

إنها تفضل هذا ..

تفضل أن تفسره هي ، وتفسره (منى) أيضا ، على أن تريحه (منى) وحدها ..

نفس مبدأ (شمشون) .. (*)

على وعلى أعدائي ..

من هو يا سونيا ؟ ..

كرد (إيزاك) سألته في الحاح ، لمغت رأسها إليه في توتر ، وتعلمت إليه لحظة في صمت ، بعد أن انتزعها من أفكارها ، ثم قلت في عصبية :

.. إنه شخص بالغ الأهمية والخطورة ، كان الجسيم يتسورون أنه لدى مصرعه ، ولكن الحقيقة أنه على قيد الحياة .
ارتفع حاجبا (إيزاك) ، في دهشة وذعر ، ثم مال نحوها أكثر ، وهو يسألها في لهجة متوترة :

(*) (شمشون) + بلل يهودي ، كان يمتلك قوة عارفة ، تمكن في شعره . ثم خدعته الفتاة (شيلة) ، وجعلته يكشف سر قوته ، فعلق الأعداء شعره ، وفقد قوته . ولكنه استعاض عنها بعد إعدامه ، وأتى بالمعبد على رأسه وعلى رجليه الجسيم ، صارها .. حتى وعلى أعقبي .)

.. من هو يا (سونيا) ؟ .. من ؟

فتحت شفتيها لتتعلق بالاسم ، وترنعت لحظة ، ثم خسعت أمرها ، وقالت :

.. إنه ..

قاطعتها صوت صارم حازم ، يقول بالعبرية :

.. أنا .

التفتت مع (إيزاك) إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيونهما في دهشة ..

بل في ذهول ..



٢ - الحادث ..

شعر (داني) بحالة الاضطراب ، التي تسود سجن التسام الفيدرالي ، فور عبور سيارته أسوار السجن ، إلى ساحة انتظار داخلية خاصة ، وتضاعف شعوره هذا ، عندما رافقه حارسان قويان - إلى حجرة مأمور السجن ، الذي استقبله في توتر ملحوظ ، وهو يقول :

- مرحباً بامستر (داني) .. أتعلم أن تكون هذا لسبب جيد ، لا يتعلق بما نعالجه الآن .

سأله (داني) في اهتمام :

- وما الذي تعانون بالضبط ؟

التقط المأمور نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

- تمرّد ..

عض شفته ، قبل أن يتابع :

- هناك إطلاق نيران ، في الجناح الثاني ، حيث المصعونات

الأعرج خطورة ، ولقد عزل رجالنا هذا الجناح ، ويحاصرونه ، ولقدنا لم ندر أنه أبعاد الموقف بعد .

سأله (داني) في قلق :

- أهو الجناح الذي يضم الجاسوسة (هانا دايان) ؟
أوما المأمور برأسه إيجاباً ، وتنهّد قللاً :

- أخشى أنه كذلك .

التقى حاجباً (داني) في توتر ، وهو يقول :

- اسمع أيها المأمور .. لننظر هنا في مهمة محدودة ، الأولى إخراج الجاسوسة من سجنك ، ونقلها إلى زنزانة خاصة بنا ، في أحد إدارات جهاز المخابرات ، ولدي أمر من القاضي الفيدرالي بهذا .

قالها وناوله الأمر الزائف ، الذي يحمل موافقة القاضي الفيدرالي ، على نقل (هنا) إلى سجن المخابرات المركزية الخاص ، لمطالعة المأمور في سرعة ، وقال في حلق :

- وما المطلوب مني فعله الآن ؟

أجابته (داني) في عصبية :

- أن تسطر على هذا التمرّد بأقصى سرعة ، وتسلمني الجاسوسة على قيد الحياة .

غضب المأمور في عصبية :

- حلاً ؟

ثم التزم شاربه من صدره ، وألقاها أمام (داني) ، مستطرداً في غضب ثائر :

- إننى أمتحك شرف تحقيق هذه المهمة البسيطة إذن ، ها هي
 ذى شارتي .. علقها على صدرك ، وحاول أن تفعل هذا .
 قال (دالى) فى عصبية ماثلة :
 - إنها مهمتك أنت .
 رفع العامور يده أمام وجهه ، هاتفا :
 - لا يمكنكى أن أعدك بهذا .
 واستعاد شارته ، وعاد يشبثها على صدره ، وهو يتابع :
 - سنسيطر حتما على التمرد ، أما بشأن جاسوسك ، فما
 أسعدنى بالقائها خارج المكان ، بشرط واحد .
 واعتزل متابعا فى صرامة :
 - أن نجدها على قيد الحياة ..

لوحة . فكتت (منى) الأمل فى التجاة ، وهى تتطلع إلى بندقية
 (هويا) ، المصوبة إلى صدرها ، وإلى سيانيتها ، التى تتحرك
 لاقتصاد الزناد ..
 ثم لصحت الخنجر ، الذى سقط من يد (سيريلا) ، قبل أن تلقى
 نصيرتها ..
 وبكل ما تبقى فى أعماقها من قوة ، ومن رغبة فى العيش ،

فلزت (منى) نحو الخنجر ، فى نفس اللحظة التى أطلقت فيها
 (هويا) رصاصتها ..
 وعبرت الرصاصة فوق رأس (منى) ، وهى تننطق الخنجر ،
 وصرخت (هويا) فى غضب :
 - لم تنفذ رصاصتى بعد .
 صوبت بندقيتها مرة أخرى إلى (منى) التى تنطقت الخنجر ،
 واعتلت فى حركة حادة ، ثم قذفته نحو (هويا) ، التى أطلقت
 رصاصتها الثالثة ، فى الوقت ذاته ..
 وشعرت (منى) بخيط من النار يخرق جانب بطنها ، وتناهى
 إلى مسامعها صوت آهة ألم ، أطلقتها (هويا) ..
 ثم سقطت (منى) أرضا ..
 لم تعد تلك القوة على مواصلة القتال ، وقد اصطبغ كل شيء
 أمامها بلون الدم ..
 ومن بعيد رأت (هويا) تشبث بحاجز الشرفة ، وقد اخترق
 الخنجر صدرها ، بالقرب من موضع القلب ، وشعب وجهها ،
 وهى ترفع بندقيتها نحوها ، هاتفة فى صوت متهاك :
 - لم نرجى المعركة بعد أيتها الجاسوسة .
 ثم ارتفع صوت بهتف :
 - توقفى يا (هويا) .. لم يعد هناك مبرر لإطلاق النار .

ولكن (هويا) تجاهلت الصبحة تماماً ، وصوّبت بنذقيتها إلى
 (مشر) في عتاد ، وضغطت الزناد ..
 وسمعت (منى) صوت الرصاصات ، تتردد في المكان ..
 ثم أظلمت الدنيا أمام عينيها ..
 وانتهى كل شيء ..

★ ★ ★

ارتسم الذهول بكل سماته ، على وجه (إيزاك) ، وهو يحقّق
 مع (سونيا) في ذلك القامد ، الذي بدا قوياً ، متين البنيان ، وقد
 أخفى وجهه بلقاع سميك ، لا يبرز سوى عينيّه ، وهتف
 (إيزاك) :

- كيف دخلت إلى هنا ؟

أجابه المتلعّخ بالعبرية :

- لدى أساليبى ..

ارتفع حاجبا (سونيا) في دهشة ، قبل أن يلتفتا ، وهى تتمتم
 فى حقد :

- يا لك من داهية !

أما (إيزاك) ، فعاد يحقّق فى وجه الرجل ، هاتفاً فى ذهول :
 - ولكن هذا الصوت .. إننى أعرف من أنت .. إنك ..



ومن بعد رأت (هويا) تشبّث بحاجز الشرفة ، وقد احرق اخضر صدرها ..

فارتطم بأحد مقاعده ، وسقط أرضاً فالحق القوي ، في حين حدثت
(سوليا) في وجه (أندم) ، وهنكت :

- يا لك من داهية !.. كيف فعلت هذا ؟

ابتسم في سخرية ، وقال :

- أصبحت ألتى أعرف أساليبك جيداً ، يا زوجتى العزيزة .. لقد

علمت بقدمك إلى هنا ، وأدركت أنك ستحاولين كشف أمرى .

انتقاماً منى . بعد أن تركتك من أجل (منى) ، لذا فقد تسلمت إلى

هنا ، وأوقفتك . قبل أن تكشفى أمرى . وتسدنى خطتى كلها .

هنكت في شراسة :

- لن أظفر لك ما فعلته بى أبداً .

قال في صرامة :

- فيما بعد يا زوجتى العزيزة .. فيما بعد .. ستقادر هذا المكان

أولاً ، ثم تحل مشاكلنا العائلية خارجه .

قالت في حدة :

- أنتن الخروج من هنا سهلاً ؟

أجابها في سخرية :

- بالطبع .. لقد أخلبت الساحة الخارجية من بلى قومك ،

وأفسدت عمل آلات التصوير والمراقبة ، ولا فكيف تظنينى دخلت

إلى مكتب صديقنا (إيزاك) ؟

قاطعه المقلع في صرامة :

- لا تظن نفسك نكياً إلى هذا الحد .

لوح (إيزاك) بذراعه ، هاتفاً :

- ولكننا جميعاً نعلم أنك لفتت مصرعك فى ...

قاطعه المقلع مرة أخرى في صرامة :

- قلت لك : لا تظن نفسك نكياً .

انتزعت (سوليا) نفسها من دهشتها ، وقالت :

- لا تجعله يدفعك يا (إيزاك) .. إنه ليس من تظن .. إنه ..

قاطعها المقلع في خزم مكيف :

- أصمتى .

ولكنها قلقت من مقعدها ، واندفعت نحوه ، هاتفة :

- بل سأكشف سرى ، وسأملكك من خداع الجميع . و ...

أمسكت قباضه في هذه اللحظة ، وانتزعته عن وجهه ،

فتراجع (إيزاك) كالمنصعوق ، وهتف :

- إنه أنت بالفعل .

ولكن الرجل تحرك في سرعة مدعشة . وهوى على فكه

(إيزاك) بكلمة كالقنبلة ، هاتفاً :

- من سوء حظك .

أصابت الكلمة (إيزاك) ، ودفعته إلى الخلف في عنف ،

قارومته خائفة :

- لن أرافك إلى الخارج ..

أمسك معصمها في عطف ، وهو يقول في صرامة :

- بل ستفعلين يا عزيزتي (سوليا) ، وعلى الرغم من أنك ..

وبحالة يده ، ضرب مؤخرة عنقها ضربة فنية خطيرة ، في

موضع انتقاء في عنابة . فحطت في وجهه لحظة في ذهول ، ثم

سقطت بين ذراعيه الفاقدة الوعي ..

وفي هدوء ، غادر (أنهم) مبنى الملحق العسكري

الإسرائيلي ، حاملاً (سوليا) الفاقدة الوعي ، وتارخاً خلفه نهراً

من الغضب ..

ومن الدهشة ..

لم يكد (داني) يدخل حجرة مكتب (فوستر) ، حتى سألته هذا

الأخير ، في اهتمام بالغ :

- هل أحضرتها ؟

هز (داني) رأسه في أسف ، وهو يقول :

- لم أستطع هذا .

عَبَّ (فوستر) من خلف مكتبه ، صائخاً :

- كيف ؟ .. هل رفضوا تسليمها إليك ؟

أجابته (داني) في بساطة :

- لم يفعلوا ، ولكن هذه الشيطانة أشعلت السجون كله ، وتسببت

وحدها في مصرع سجنية عديدة ، وحارسة من حراسات السجن ،

وحطمت رموس خمس نساء أخريات .

هتف (فوستر) في دهشة :

- وحدها ..! هل قاتلتهم مباشرة ؟

أجابته (داني) :

- هذا صحيح ، بالنسبة للسجينات الست ، أما بالنسبة

للحارسة (هويا) ، فقد أطلقت نيران بندقيتها على الجاسوسة ،

وأصابتها بطلقة في عضلة العنق الكتفية ، ولكن الجاسوسة

فلذبتها بفنجر ، أصاب جدار قلبها ، وتسبب في مصرعها ، بعد

إصابتها بعدة دقات . كادت خلالها تقتل الجاسوسة ، لولا أن

أطلق بعض الحراس الآخرين رصاصاتهم على بندقيتها ، فأطلقت

صرخة تفيض بالمرارة ، وسقطت جثة هامدة ، في حين ..

قاطعه (فوستر) في حلق :

- هل سأمتنع إلى قصة حياتك كلها ؟ .. أنتظن نفسك مطلقاً

رياضياً ..! أخبرني لماذا لم تستطع إحضار (هانا) فحسب ..

زغر (داني) في حلق ، وقال :

- لقد نقلوها إلى المستشفى المركزي ، فقد فُقدت وعيها ، بعد إصابتها بعدة ضربات ، وبخاصة الحارس القليلة .
عقد (فوستر) حاجبيه ، وهو يسأله :
- ولماذا المستشفى المركزي ؟ ألم يكن من الممكن أن يتم علاجها في الجناح الطبي بالسجن ؟
أجاب (داني) :
- أنا الذي طلب هذا .

تطلع إليه (فوستر) في تساؤل ، فأضاف :
- كان المفروض أن نُسلمها ، لنقلها إلى سجننا الإلكتروني الخاص هنا ، ولكن هذا صار مستحيلًا ، بعد إصابتها ، وحاجتها إلى رعاية طبية خاصة ، لذا فقد طلبت نقلها إلى المستشفى المركزي ، ووضعت خمسة من أفضل رجالنا لحراستها ، وأمرتهم ألا يسمحوا لغير الأطباء المعالجين ، وأنت ، وأنا بزيارتها .
قال (فوستر) في حدة :

- ولماذا لم تطلب فريق البيسبول الوطني (*) ، وفرقة من

(*) البيسبول : رياضة نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي تحتاج إلى ملعب معين الشكل ، وإلى فريقين ، يحوي كل منهما تسعة لاعبين ، وأحياناً يقوم كل فرد من أفراد الفريق بضرب الكرة مرة ، وفجري حول أركان الملعب ، في حين يحاول الفريق المنافس التلصص بها ، وتنتهي اللعبة بإخراج أفراد أحد الفريقين ، وإعزاز آخر قدر من التلصص .

مشاة البحرية ١٢ .. هل أصابتك الحماقة إلى هذا الحد ؟ .. أنسيت أن الشخص ، الذي تسعى لاقتصاصه ، يمكنه أن يتكرر في هيئة أحد الأطباء المعالجين ، ويصل إليها تحت أتونها ؟
ابتسم (داني) ، وقال :

- لا .. لم أنس هذا أبداً الرئيس ، لذا فقد استعرت جهازاً إلكترونيًا لتحقيق الشخصية ، من قسم الابتكارات ، وهو يعتمد على فحص بصمات اليد ، ودرجة حرارة الأصابع ، بحيث لا يستطيع أي شخص خداعه ، حتى وأو ارتدى على أصابعه بعض البصمات المطاطية الصناعية .

التفرد (فوستر) في أعماقه ، بأن (داني) أجاد اللعبة هذه المرة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد قال في صرامة :
- أتعتزم أن يكفى هذا ، عندما يظهر خصمنا في الساحة .
سأله (داني) في اهتمام :

- أنظفنه سيخاطر بالظهور ، على الرغم من كل هذا ؟
ارتسمت ابتسامة ناعسة على شفتي (فوستر) ، وهو يجيب :
- نثق أنه سيفعل بأرجل .. بل ربما كانت كل هذه التعتيدات هي دافعه للظهور ، ومحاولة استعادة زميلته ، فلو أننا نقاتل الشخص نفسه ، الذي أفلتنا لقاتله ، سيدفع المستحيل بالحماض والقوة إلى عروقه ، ويدفعه إلى تحديه ، لحتى آخر لحظة في

حياته العملية ، المسجلة لدينا هنا ، كان يحمل ذلك القلب ، الذي كنتم تعدونه عليه دائما .

وأرخص جفنيه ، وهو يضيف :

« لقب (رجل المستحيل) .

وارتجفت السماء في عروق (داني) ..

استعدت (سونيا) وعيها في بطنه ، وتطلعت لحظة إلى المكان المحيط بها ، ثم لم تثبت عينها أن التسعنا في شدة ، وهي تحتل في مجلسها بحركة حادة ، وتهتف :

« ما هذا ..؟ من أتى بي إلى هنا ؟

كانت تجلس على مقعد وثير ، داخل طائرتها الخاصة الصغيرة ، ذات المقاعد الأربعة ، والتي كانت تحلق في السماء بالفعل ..

وقبل أن تسحب الأمر ، فتح الطيار باب كابينة الصغيرة ، في مقدمة الطائرة ، وابتسم قائلا :

« طاب مساوئك يا ستيورا (نورما) .. يسعدني أن استعدت وعيك بهذه المرحلة .

صاحبت به في غضبي :

« من الذي أتى بي إلى هنا ؟

ارتبك الطيار ، وأجاب :

« السنيور (أميجو) يا ستيورا .. لقد أحضرك بنفسه إلى هنا ، وأمرني بنقلك مباشرة إلى المزرعة ، في (كيواوا) ، وأخبرني أنك أسرفت في الشراب ، في حفل خاص ، وأنه سيهلك بك بعد يومين على الأكثر ، و ..

بتر عبارته أمام نظراتها الغاضبة الصارمة ، وارتبك أكثر ، وهو يقول :

« أهداك خطأ في هذا يا ستيورا ؟

جاء صوتها معقفا صارخا ، وهي تجيب :

« نعم يا رجل .. هناك خطأ .. خطأ كبير .

بدا القلق على وجه الطيار ، وغمغم :

« معذرة يا ستيورا ، ولكنني نلتذت أوامر السنيور (أميجو) .

قاطعته في صرامة :

« لا تتدخل فيما لا يعنك يا رجل ، واصل رحلتك إلى (كيواوا) . لم يلهم الطيار ما يحدث ، ولكنه أسرع بإطلاق باب كابينته ، وواصل رحلته ، في حين بدأ مزيج من الغضب والقلق على وجه (سونيا) ، وهي تقول لنفسها :

- حسناً يا (أدهم) .. لقد أفسحت أن أجعلك تتقدم على ما فعلت ،
عندما تركتني من أجل حبيبتيك القديمة ، ولن أحتج بشيء أبداً ..
وستتقدم يا (أدهم) .. ستتقدم عندما تعود ..

ولطُعت من النافذة إلى السماء العظيمة ، وهي تستعطر بكل
الوخشية والخراسة في أعماقها :
.. وهذا وعد .

وارتفعت السماء بتهتكه الشيطان .



٣٢

٣ - المحامي ..

، فضيحة ..

تطلق القنصل الاسرائيلي الكلمة في غضب واضح شديد ، قبل
أن يضيق في حدة وصرامة :

- فضيحة على أي مقياس أملي أو سياسي يا (إيزاك) .. كيف
يمكن لشخص واحد ، أن يقتحم المبنى ، ويغسل أجهزة المراقبة ،
ويشعل إلى حجرة مكتب ، ويختطف واحدة من أشهر أفراد
مخابراتنا السابقين ، ويخرج بها من هنا ، دون أن نواجهه
مشكلة واحدة ؟!

كيف ؟

زفر (إيزاك) في عرق ، وقال :

- أعلم أن هذا ليس بالأمر الهين أو السهل ، ولكن الشخص ،
الذي فعل هذا ، ليس شخصاً عادياً ، على أي مقياس أملي أو
سياسي .

هتف القنصل في غضب :

- لماذا ؟! أهو (سوبرمان) نفسه ؟

أجاب (إيزاك) ، والاتصال يملأ كلماته :

- (سوبرمان) شخصية خيالية يا سيدي .. أما ذلك الرجل ،

٣٣

فهو شخصية حلقية ، كنا نظن أن صاحبها قد لقي مصرعه منذ زمن ، ولكنني فوجئت أنس بأنه ما يزال على قيد الحياة ، وإن كنت أجهل لماذا يطفى أمر بقاءه على قيد الحياة !! ولماذا يفعل كل ما يفعل ؟

جذبت هذه الكلمات انتهاء الاتصال ، وشغلت حواسه في شدة ، وهو يسأل (إيريك) في حذر :

.. عجيباً ! لقد أكد الرجال ، الذين هاجمهم هذا الشخص ، أنه كان يطفى وجهه بقناع سميك ، فكيف تعرفه ؟

أجابته (إيريك) ، وهو يلوّح بكفه في الغمام :

.. لقد جذبت (سونيا) قناعه ، ولمحت أنا وجهه لحظة ، قبل أن يباغتنى ، ويظفني الوعى .. صحيح أنني تعرفت صوته ، منذ سمعته لأول مرة ، ولكن رؤيته أغنت ظنوني .. و ...

قاطعته القنصل في توتر :

.. من هو يا (إيريك) ؟

التقط (إيريك) نفساً عميقاً ، وهو يقول :

.. إن تصوّر هذا يا سيّدى القنصل .. إن تصدّقه أبداً ، وأرتجف صوته ، وهو يستورد :

.. إنه (موشى) .. رجلنا (موشى) حاييم نزارائيل .. واتسعت صفاً الاتصال في دخول ..

جلجلت ضحكة (قندى) ، وهو يشرب كلما يطف ، هاتفاً في وجه (أدهم) :

.. يالك من داهية !.. إنك أنت من يستحق لقب الثعلب ، لا (جيمس فومستر) .. كيف خطرت بياك هذه الفكرة ؟

أجابته (أدهم) ، وهو منهك في صلع تنكره الجديد ، في عنابة فائقة :

.. كانت أول فكرة جالت بخاطري يا صديقي ، فالتفصص الوحيد ، الذي يمكن إسباغ كل ما حدث عليه ، هو (موشى نزارائيل) ، الذي سيبدو زوجاً مناسباً لـ (سونيا جراهام) ،

ورجلاً قادراً على فعل منظم ما فعلت .

قال (قندى) في إعجاب :

.. من الناحية النظرية فعصب ، أما من واقع الأمور ، فكل قرارات (موشى) هذا ، لم تكن تساوى ربع قدراتك العقلية .

هو (أدهم) كتليه في هدوء ، ولم يعلّق على عبارة (قندى) ، الذي تطلع إليه لحظة ، قبل أن يقول :

.. عجيباً .. إنك معجزة في عالم التنكر يا فتى .. كيف يمكنك تدليل هينتك على هذا النحو ؟

أجابته (أدهم) في هدوء وبساطة :

.. ربما بسبب خبرتي الطويلة ، في هذا المجال .



ثم هب واقفا ، وهو يستطرد في حزم :
 - لا بد أن أراها يا (قدرى) ، وأن أطمئن عليها ، مهذا كان الثمن

أهتسم (قدرى) وهو يقول :

- فقط !!

هز (أدهم) كتفيه ، دون أن يجيب ، وانحنى ليكمل تنكره أمام المرأة ، عندما وقع بصره على صورة جهاز التلفاز ، الملصقة على المرأة ، وهي تنقل صورة واضحة لوجه (منى) ، جعله يلتفت إلى التلفاز في حركة حادة ، هاتفا بـ (قدرى) :

- ارفع الصوت قليلا يا رجل .. إنهم يتحدثون عن (منى) ، فلز (قدرى) من مقعده ، والتقط جهاز التحكم الألى (الريموت كنترول) ، وضغط أحد أزراره في سرعة ، وارتفع صوت التلفاز ، لتتقل المذيعة تفاصيل ما حدث في السجن النسائي الفيدرالى ، دون أن تشير إلى نقل (منى) إلى المستشفى المركزى ، وإن ذكرت أمر إصابتها ، فغمغم (أدهم) ، وقلبه يتلصص بين ضلوعه في لوحة :

- يا إلهى ..! لقد أصيبت (منى) .

ثم هب واقفا ، وهو يستطرد في حزم :

- لا بد أن أراها يا (قدرى) ، وأن أطمئن عليها ، مهذا كان

الثمن .

والتقى حاجباه في صرامة مكيفة ، وهو يكرر :

.. مهما كان الشئ يا (داني) .

وكان يعني ما يقول ..

بدأ الضرب واضحا جليا ، على وجه المحاسي (آرثر كنج) ، وهو يصيح في وجه (داني) ، أمام حجرة (مئي) ، بالمشتشلى المركزي :

.. ما الذي تعنيه ، بأنك لن تسمح لي بزيارة موكلتي ؟ .. القانون والسنن لا يمنعانك هذا الحق يا مستر (داني) .. بل على العكس .. القانون نفسه يمنعك من التدخل في هذا الشأن ، فهو من اختصاص الشرطة الفيدرالية .

أجابته (داني) في صرامة :

.. لن يلحدك القانون هذه المرة يا (آرثر) ، فالأمر أكبر من قدراتك بكثير .

هتف (آرثر) :

.. أكبر من ماذا ؟ .. يبدو أنك تتجاوز حدودك هذه المرة ، دون أن تدرك يا مستر (داني) .. القانون هو القانون .. لا أحد يمكنه كسره أو تجاوزه ، حتى رئيس الولايات المتحدة نفسه .. هل تعلم هذا ؟ ثم إنني غير مقتنع بموافقة القاضي الفيدرالي ، التي قدمتها

لإدارة السجن ، لتسمح لك بنقل موكلتي إلى هنا .. لا يمكن أن يصدر القاضي الفيدرالي أمرا يخالف القانون ، على هذا النحو الصريح .. ألا يمكن أن يكون هذا الأمر زائفا يا مستر (داني) . شعر (داني) بالقلق ، عندما طرق (آرثر) هذه اللقطة ، خشية أن يكشف المحاسي أمر التصريح الزائف ، فقال محاولا لتطويق الموقف :

.. أعلم تماما أنه لا يمكنني منعك من زيارة موكلتك يا مستر (آرثر) ، وإنما كنت أصد أنها الآن في غيبوبة عميقة ، لها الذي تلعبه من رؤيتها ؟

أجابته (آرثر) في عناد :

.. ليس من حقل معرفة الغرض من زيارتي .

هتف (داني) في حماس مقتعل :

.. بالطبع .. إنك تستطيع زيارتها ، حتى ولو كانت ترقد في قبر عميق .. هذا حقل القانوني .

وترنّد لحظة ، ثم أضاف :

.. ولكن هناك إجرام بسيط .

أجابته المحاسي في صرامة :

.. سأعترض عليه ، لو لم يكن قانونيا

هو (داني) كنفه ، وقال :

- إنه مجرد إجراء أمضى -

بدأ الحذر على وجه المحامي ، وهو يقول :

- إجراء أمضى ؟! .. أى إجراء هذا ؟

أجابته (داني) ، وهو يشير إلى جهاز فحص البصمات الإلكتروني :

- سنمسح على بصماتك فحسب ، لنسجلها في هذا الجهاز ، حتى يمكنك التحويل لزيارة موكلتك ، في أية لحظة .

نطعم المحامي إلى الجهاز في شك حذر ، وسأل (داني) في خبث :

- هل فعلت أنت هذا ؟

أجابته (داني) مبتسما ، وهو يشير إلى رجاله الخمسة :

- انشئ للرئيس المباشر لهؤلاء العمالقة ، الذين نراهم أمامك ، ولا يمكنهم أن يخطئوا أبداً ، وهذا ينطبق على مستر (هوسر) ، فهو رئيس رئيسهم .. أما أنت ..

اعتدل (آرثر) في حزم ، وهو يقول مقاطعا (داني) :

- لن أمسككم بصماتى إذن ..

ترابيع (داني) في دهشة ، وقال :

- لماذا ؟! .. هذا لن ..

قاطعه مرة أخرى في عصبية :

- إذا كنت أنت رئيس هذه العفلة من الفضلات ، ومستر

(هوسر) رئيس رئيسهم ، فأنا معاضى هذه الفتاة ، انشئ

داخل الحجرة ، والوحيد الذى يمتلك حقاً قانونياً في مطاقتها ، في

أية لحظة ، ما دام ..

قاطعه (داني) هذه المرة ، وهو يقول :

- حسناً .. حسناً .. لقد اختلفت بوجهة نظرك .. يمكنك زيارة موكلتك ..

ابتسم (آرثر) في ظلم ، وقال :

- بالتأكيد ..

وشد أمانته في اعتدائه ، واتجه بخطوات وثقيلة نحو الحجرة

وفتح بابها في قوة ، ثم التفت إلى الجميع ، قائلاً في صرامة :

- لا أريد أية مقاطعات ..

ونفذ إلى الحجرة في حركة سريعة ، وأغلق بابها خلفه في

إحكام ، وأسند ظهره إليه ، وراح يتطلع إلى (عشي) ، الرائدة على

الفرش الأبيض الصغير ..

كانت صورة مجسنة للرقعة والنغومة ، حتى وهي تترك قائدة

الوعى ، داخل حجرتها المحدودة ، انشئ أضاليل إليها رجال

المخابرات الأمريكية قضباناً فولاذية ، تمنع أى مفاتيح من

الدخول إليها ، أو الخروج منها ..

ولثوان ، قل (آرثر) يتطلع إلى (منى) فى صمت ، ثم غادر موقعه ، واتجه إلى فراشها فى بطة ، والحنى يراقب وجهها فى سكون دام لحظات طويلاً ، حتى بدا خلالة أشبه بتمثال من الرخام ، قبل أن يقدم على أغرب عمل يمكن للمرأة توقعه ..
لقد انحنى ، وطبع قبلة خاتية على جبهة (منى) ، ثم اعتدل ، وتطلع إليها لحظة أخرى ، وغادر الحجرة على الفور ..
وبين كلمة واحدة -

أرأيت ما فعله ؟ ..

تطلق (فوستر) العبارة فى حماس والتفعل ، وهو يراقب مع (داني) بينما سينمائيًا ، التقطعة آلة تصوير خلفية فى حجرة (منى) ، ثم أضاف فى ارتياح :
- هذا بثبت أنه هو ، وأن هذه الفتاة هى زميلته (منى) توفيق) ، كما قال ذلك العامور (ايزاك) .
وأطلق من أصغافه زفرة حارة ، وكأنما يعلن قرب نهاية الصراع ، قبل أن يستطرد فى حزم :
- أما زال رجالك يراقبونه يا (داني) ؟
أوما (داني) برأسه إيجابًا ، وقال :

- إنهم يحيطون بمكتبه ، إحاطة السوار بالمعصم ، منذ عاد إليه ، وينتظرون إشارة واحدة منى ، لينقضوا عليه .
أشار إليه (فوستر) ، قائلاً :
- هذه العملية تحتاج إلى وجودك شخصيًا يا (داني) .. هيا ..
أذهب إليهم ، وهاجموا ذلك الرجل على الفور ، واحضروه إلى حيًا .
ابتسم (داني) ، وهو يقول :
- سنفعل أيها الرئيس .
واستدار مغادرًا الحجرة ، ولكنه لم يكد يفتح بابها ، حتى استوقفه (فوستر) ، قائلاً :
- (داني) .
التفت إليه الرجل ، فتابع مبتسمًا :
- لن يحزننى كثيرًا ألا تأتوا به حيًا .
اتسعت ابتسامته (داني) ، وهو يقول :
- هذا يجعل مهمتنا أكثر سهولة أيها الرئيس .
وفى سيارته ، كانت ابتسامته تشعل وجهه كله ، وهو يتصور نفسه وقد صرع الرجل ، الذى أذل تأسية أقوى أجهزة المخابرات فى العالم ، ولم يكد يبلغ موقع مكتب (آرثر) ، حتى أوقف

سيارته . وهبط منها ، واتجه إلى أحد رجاله ، الذين يرافقون
المسافر ، وسأله :

- أما يزال هناك ؟

أوما الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

- لم يقادر مكتبه ، منذ عاد من المستشفى .

رأت (داني) على كتف الرجل ، قائلاً :

- رابع .. سيفاجئه هجومنا الآن .. هيا بنا .

تحرك الجميع نحو البناية ، وأجبروا حارسها على فتح

الأيواب . ثم استقل (داني) المصعد ، بصحبة اثنين من رجاله ،

في حين تسعد الثلاثة الآخرون في لوجات المصعد ، و ...

والخدم الخمسة المكتنب في آن واحد ، على نحو جعل (آرثر)

يحب من خلف مكتبه ، هاتفاً :

- ما هذا ؟ كيف تجرعون على اقتحام مكنتي هكذا ؟

ولكن الرجال الخمسة انقضوا عليه في آن واحد ، و (داني)

يهتف بهم :

- لا تسمحوا له بالفرار .

فلز (آرثر) من خلف مكتبه ، وركل ألرب مهاجميه في

صدره ، ثم دار على عقبه ، ولكم الثاني في فقهه ، إلا أن الثالث

الرابع هاجمناه من الخلف ، في حين لكمة الخامس في معدته

مقشاً ، جعلته يتأوه ، قبل أن يثقل ضربتين عبقثون في صدره ، وفقه .

استقناته فوق مكتبه ، في نفس الوقت الذي ارتفعت فيه فوهات

المسدسات في وجهه ، وهتف (داني) ظاهراً :

- لقد خسرت .

ثم اندفع نحوه ، وجنب لحيته ، وهو يستطرد :

- هيا .. اكشف عن وجهك الحقيقي .

أطلق (آرثر) صرخة ألم ، وصاح في غضب :

- ماذا تفعل أبيا الأحق ؟ .. أكل هذا من أجل لحيتي ؟

تراجع (داني) كالصعوى ، وحقق في وجهه بدعشة ، هاتفاً :

- ولكن .. ولكنها لحيّة حقيقية !

صاح (آرثر) :

- بالتأكيد أنها كذلك .. ما الذي يدعو لي لوضع لحيّة

مستعارة ؟

فتح (داني) شفطيه ، وهمهم بعبارة مبهمّة ، ثم لم يلبث أن

ترك جسده يهوى ، فوق أريكة جانبية ، وهو يرتد :

- يا للشيطان ! إنها حقيقية !

هتف (آرثر) محلفاً :

- أي عجب في هذا ؟

حقق (داني) في وجهه لحظة في ذهول ، ثم غيب من مقعده ،

واختلط صفاعة الهاتف في حركة حادة ، وفلّزت سبابته تضرب

الأزرار في سرعة معومة ، ولم يكد يسمع أصوات (فوستر) ،

حتى هتف :

- لقد أخطانا ياسيدى .. إنه (آرثر) .. لا .. ليس غريمنا
مبتكرا ..

إنه (آرثر) بشخصه ولحمه .. نعم ياسيدى .. لقد تأكدت
بنفسي بالطبع .. لحبته الحقيقية .. نعم .. جثبتها بنفسى ..
صاح (آرثر) :

- ما الذى يحتلكنم بشأن لحيتى ؟ .. إنها فى موضعها هذا ، منذ
أكثر من عشر سنوات ، ولم تثر دهشة أحد ..
تجاهله (داني) تماما ، وهو يستمع إلى (فوستر) فى اهتمام ،
قبل أن يقول :

- نعم ياسيدى .. نعم .. سأحضره بنفسى ..

ثم أنهى المحادثة ، وقال لـ (آرثر) فى سرامة :

- مغفلة لما حدث يا مستر (آرثر) .. إنه خطأ غير مقصود ..
لما فقط خلف رجالة قووات مستشارهم ، التى كانت مصوبة
إلى رأس (آرثر) ، فصاح المحامي مختفا :

- غير مقصود ؟! .. اتقنتمون مكشبي ، و ...

قاطعه (داني) فى سرامة :

- وأظننا سنصحبك معنا يا مستر (آرثر) ، فالسيد (فوستر)
يريد التحدث معك الآن ..

قال (آرثر) فى غضب :

- لن أذهب ..

عالت قووات المستشارين ترتفع فى وجهه ، فاستلذذ فى
سرعة :

- ليس قبل أن أرتدى ستريتى ..

أشار (داني) إلى رجالة يخفض مستشارهم ، وهو يقول :

- حسنا .. أسرع بارتدائها ، وهيا بنا ، لأن يحمل مستر
(فوستر) الانتظار طويلا ..

قال (آرثر) فى عصبية :

- إنها فى الحجرة المجاورة .. حجرة سكرتيريسى ..
سارتديها ، وأطلب من السكرتيرة إرجاء بعض المواعيد
العاجلة ، وأعود على الفور .. هل يمكننى هذا .. أم ألتنى رهن
الاعتقال ؟

أجابته (داني) فى حدة :

- بل يمكنك هذا ، ولكن أسرع .. أسرع وإلا قتلتك بلا رحمة ..
غاب (آرثر) فى الحجرة المجاورة ، فى حين عاد (داني) يلقى
جسده على الأريكة ، وهو يطلق زفرة قوية عذيفة ..
لقد أدرك أنه يقاتل خصما قويا بالفعل ..

خصما له ذكاء الثعالب ، ولقوة الأسود ، وقضاء الثعالب
ومع خصم كهذا لا يبقى لك أن تطلق صوتك ، مهما طال الليل ،
ولا فالعصير الوحيد أمامك هو الهزيمة ..
أو الموت ..

٤ - من نقاتل ؟

نقرأ القنصل الإسرائيلي سطح مكتبه في عصبية واضحة ، وهو يتطلع إلى (إيزاك) في صمت ، ثم قال في حزم :
- « مستحيل يا (إيزاك) ... مستحيل أن يكون خصمنا هو (موشى زرائيلى) ، فالمفروض أن يعمل (موشى) إلى جانبنا ، لا ضمتنا .

قال (إيزاك) في حماس :

- ربما يتصور أنه يعمل لحسابنا بالفعل ، بإنقاذه من بتصور أنهم يعملون لصالح (الموساد) ، أما لماذا يخفى أمر وجوده على قيد الحياة ، فهذا ما أحاول فهمه ، ولكننى أشعر بالحيرة تجاهه .
ضرب القنصل سطح مكتبه بقويته في عنف ، قائلا :

- قلت لك مستحيل !

ثم مال إلى الأمام ، مستطرذا في حدة :

- والسبب الثانى لاستحالة هذا ، هو أننى تسلمت بنفسى جثة (موشى) . بعد أن لقى مصرعه في (المانيا الشرقية) (*)

(*) راجع قصة (الجمعة المزوج) - المغامرة رقم (٦٧) .

وليس لدى أننى شك في أمر مقتله ، والموتى لا يعودون إلى الحياة يا (إيزاك) .. أليس كذلك ؟

بهت (إيزاك) ، وسقط فكه السفلى كالمعنوء ، وهو يحدق في وجه القنصل ، قبل أن يردد في ارتباك وحيرة :

- ولكننى رأيته بنفسى ، وسمعت صوته ، و ...

قاطعه القنصل في حزم :

- هذا بضمتنا أمام احتمال آخر ، أكثر خطورة .

سأله (إيزاك) :

- ما هو ؟

التقى حاجبا القنصل - وهو يقول :

- من في رأيك يوق (موشى زرائيلى) قوة وقدرة ومهارة ، ويمكنه في الوقت نفسه التحال شخصيته ، وإقناع الجميع بهذا ، في براعة منقطعة النظير ؟

مرتتفت شعيرة ياردة في جسد (إيزاك) ، وهو يقول بصوت مرتجف ، وعينين زائفتين :

- ولكن هذا مستحيل أيضا !

قال القنصل في حزم :

- وعلى الرغم من استحالة ، فلا يوجد لدينا تفسير منطقي

سواء .

واعتمد في مجلسه . مستطردا :

- إننا نقاتل عدونا اللئيم ، وخصمنا القديم يارجل .. نقاتل
(ألف) .. (ألف صغرى) .

وتحوطت شعيرة (إيزاك) إلى ارتجافة قوية ..
ارتجافة رعب ...

أنكم تحالفون القانون ..

سرع (آرثر) بهذه العبارة . في وجه (فوستر) . وهو يقف
وسط حجرة مكتب هذا الأخير . فلجابه في صرامة باردة :

- لا ترفع صوتك يامستر (آرثر) . فإنا أبغض أصحاب
الصوت المرتفع . واعتبرهم أكبر حمقى في العالم .
هتف (آرثر) :

- وعلى الرغم من هذا . فأنتم تتركبون العمافة الكبرى .
وتحتجزون مشهمة بدون وجه حق . كما تراقبون حجراتها بأجهزة
التصوير والتصنعت . دون إذن من القاضي . و ...

قاطعه (فوستر) بقية :

- لماذا قبلت جيباتها ؟

بتر (آرثر) عبارته . وحنق في وجهه لحظة . ثم تتحنج في
هرج . وقال :

- ليس هذا من شأنك .

رمقه (داني) بنظرة صارمة . وتحسن موضع مصلية .
فأسرع (آرثر) يستترك في ارتباك :

- كانت تبدو شديدة الرقة .. هذا كل ما هناك .

هتف (فوستر) محتفا :

- لحظ ؟

أجابه (آرثر) متوترا :

- نعم .. هذا هو السبب الوحيد .. أقسم لكم .

هز (فوستر) رأسه في حلق . وهتف :

- بالك من تافه !

عذل (آرثر) وضع رباط عنقه . وهو يقول في توتر :

- ليس من حلك التدخل في شئونى .. إنها موكلتى . وأطالب

برؤيتها مرة أخرى الآن . بعد أن ترفعوا كل أجهزة التصنعت

والتصوير من حجرتها . وسأستصدر أمرا من القاضي بهذا .

لم يكن (فوستر) يرغب حقا في توسيع دائرة توتره في

الأمر : لذا فقد لَّوح بتراعه . وهو يقول في حدة :

- لك هذا .. هيا .. اصحبه يا (داني) إلى حيث يريد .. هيا .

صحب (داني) (آرثر) خارجا . وبقى (فوستر) وحده في

حجرتة . وهو يعقد حاجبيه . ويفكر في عمق شديد ..

كان هناك شيء ما يقلقه ، في هذا الأمر كله ..

شيء لا يروق له ..

لا يروق له أبدا ..

كانت (مى) قد استعانت وعيها ، عندما وصل (آرثر)
(داني) إلى حجرتها ، ولقد استقبلتهما في برود ، وهي تقول
بالإنجليزية :

- أما زلت راغبا في الدفاع عنى يا مستر (آرثر) ؟

ابتسم (آرثر) ، وهو يقول :

- حتى آخر رمق يا أميرتى .

أدعشها استخدام اللفظ الأخير ، فطلعت إلى وجهه في حيرة ،
في حين راح رجال (داني) يعملون في حمة وتشاط ، لرفع أجهزة
التصنعت والمعالجة من الحجرة ، حتى انتهوا في سرعة ،
وغادروا المكان ، فزفر (داني) في توتر ، وقال :

- يمكنك أن تجلس مع موكنت كما تشاء يا (آرثر) .. مائركما

معا ..

قاطعه (آرثر) في خدوم :

- على العكس يا (داني) .. سيسمحنى أن تبقى .

سأله (داني) في تعشة :

أدعشها استخدام اللفظ الأخير ، فطلعت إلى وجهه في حيرة ..

ارتفعت على شفتي (آرثر) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :
- سيفيدني وجودك كثيرا .

لنقلض جسد (منى) في شدة ، عندما سمعت هذه العبارة الأخيرة ، التي نطقها (آرثر) ، وارتفعت عنها (داني) في ذهول ، وهو يحرق في وجهه ..

هنا لأن العبارة لم تكن تحمل صوت (آرثر) المعتاد .. بل صوت رجل آخر ..

صوت (أدهم) .. (أدهم صبري) ..

وفي سرعة ، التزع (داني) مصفحة ، وهو يهتف بصوت مختلف :
مختلف :

- بالشيطان !! .. إنك لست ..

ولكن (أدهم) تعزك في سرعة مدعشة ، هوش نحو (داني) ، وأمسك مصفحه بيسراه ، ثم كال له كلمة كالقنبلة يرميها ، أطلقت به ، وضربت الحائط بجسده ، قبل أن يرتد مرة أخرى ، وقد فقد مصفحه ، فاستقبله (أدهم) بكلمة أخرى أشد قوة ، أسقطته أرضا ، وهو يطلق أمة مكتومة ..

ويكل التوبة والحب في أعناقها ، هتلت (منى) :

- أهو أنت ؟

كانت تتمنى لو أنكت نفسها بين ذراعيه ، إلا أنه أشار إليها بالصمت ، فهذلت أقصى جهدا لتبقى في موضعها ، في حين اتعنى هو يجذب (داني) من شعره الكثيف ، ويهده على الجلوس ، مستذا ظهده إلى الحائط ، وهو يصوب مصفحه إلى رأسه ، قائلا بابتسامة ساخرة :

- مفاجأة !! .. أليس كذلك ؟

مصح (داني) غيط الدم ، الذي يسيل من طرف شفتيه ، وقال في سخط ومرارة :

- ولكن كيف ؟ .. لقد جذبت لحيتك بنفسى ، في مكتب

(آرثر) :

أجاب (أدهم) ساخرا :

- بل جذبت لحية (آرثر) بأرجل ، فقلصت المزوجة أربكتكم ، ونجحت في خداعكم ، وفي إيصالى إلى هنا بهذه البساطة .

غصم (داني) وحلقه بفص بالشيف والى :

- كيف ؟

أجاب (أدهم) باللغة الإنجليزية ، وابتسامته الساخرة ما تزال متألفة على شفتيه ، ومتناغمة مع صوته :

- كنت أنا الذى حضر في البداية ، والذى اتحنى لطبع قهقهة على جبهة هذه الزميلة .

لنموت (منى) فى حضان وسعادة :

- أنت فعلت هذا ؟

لم يجب (أدهم) سؤالها ، وإنما واصل بسفريته اللاذعة :

- كنت أعلم أنكم تراقبون المكان ، وأن هذا سيفجر شكوكم .

وستهاجمون (آرثر) فى مكتبه ، لذا فقد زرته هناك ، ولا يمكنك أن تتصور مدى ذهوله ، عندما رأى أمامه ، نسخة مثقنة تمامًا من نفسه ، ولكن المبلغ السطحي ، الذى نكفته إياه ، جعله يستوعب الأمر بسرعة ، ثم شرحت له ما عليه أن يفعله ، عندما تهاجمون مكتبه ، وتبادلت ثيابى معه ، وانتقلته فى حجرة سكرتيرته ، التى لم تفهم أبدًا ما يحدث ، وإن لزممت الصمت بدورها ، مقابل منعة تلقية أخرى .

قال (داني) فى غيظ :

- من حسن حظك أن المال يفعل الكثير هنا .

أجاب (أدهم) ساخرًا :

- بل يفعل كل شيء يا فتى .. لقد جدد (آرثر) بحتمل تشويقكم .

وبقائكم فى حماس ، فهو لاعب كراتيه قديم كما تعلم ، ويعدنا نخل إلى حجرة السكرتيرة ليزكى سكرته - كما أخبركم ، ولكن السبب الحقيقي لنفوله ، كان أن نتبادل الثياب مرة أخرى .

وأصبحكم أنا إلى مكتب صديقنا (لوستر) ، ثم إلى هنا .

هتف (داني) :

- أنت داهية بحق .

ثم أشار إلى الباب ، مستطردًا فى حدة :

- ولكنك لن تتجح أبدًا فى مغادرة هذه الحجرة مع زميلتك ، فرجالى سينسلون رأسك ، لو حاولت هذا ، حتى ولو كنت أقوى رجل فى العالم .

ابتسم (أدهم) بسفرية أكبر ، وهو يقول :

- هل تظن هذا ؟

ثم بدأ بجذب قناع (آرثر) الدقيق الذى يرتديه ، وهو يستطرد :

- ربما لا يستطيع (آرثر) كنج) الخروج من هنا ، ولكنك

تستطيع هذا حتمًا .. أليس كذلك ؟

لم يكذب بنهى عبارته ، ويتنزع القناع ، حتى اتسعت عيناه

(داني) فى ذهول شديد ، وكاد قلبه يقفز من بين ضلوعه ، وهو

يحقق فى ذلك الوجه ، الذى يبرز من خلف قناع (آرثر) ..

كان هذا الوجه هو أكثر الوجوه قرينا إليه ..

كان وجهه هو ..

وجه (داني) ، على جسد (أدهم صبرى) ..

وقبل أن يفق (داني) من ذهوله ، كان (أدهم) يقول ساخرًا :

- تفكر جيدا اسم من هزمكم يا رجل .. تفكر اسم (موشى
موزانيلى).

تضاغط ذهول (دالى) ، وهو يقول :

- (موشى) ماذا ؟

وتكن إجابة (أدم) جاءت على هيئة لكمة ساحقة ، هوت على
آلف (دالى) ، وأبطلته هذه المرة وقد فقد وعيه ..
وخسر سكرتيره ..

رغم المحاسن (آرثر) كأسه غاليا ، وهو يطلق ضحكة مرحة
طويئة ، قبل أن يضرب كأسه بكأس سكرتيره ، ويستمتع
بالرتين ، هاتلا :

- نخب أسهل عشرة آلاف دولار ريعتها .

أطلقت سكرتيره ضحكة عابثة ، وقالت :

- نخب العمال السهل .

لوح (آرثر) بكأسه ، وهو يطلق ضحكة أخرى ، قائلا :

- لو أن كل العمل كهذا .

قالت سكرتيره جذلة :

- يا له من حلم !

جرع كأسه دفعة واحدة ، وهو يقول :

- حلم جميل .

لم يكن قد ابتلع محتويات الكأس بعد ، عندما اقتحم مسلحان
مكتبه ، وصوب أحدهما مسدسه إليه ، هاتلا فى صرامة :

- كلمة واحدة وأطلق النار .

يصل (آرثر) ما يفهم ، وهو يسعل فى شدة ، واحتكن وجهه
كثيرا ، فى حين شحب وجه سكرتيره ، والتصقت بمقعدها فى
رعب ، وأحد المسلحين يتجاوزها فى خطوات سريعة ، متجها
إلى (آرثر) ، وهو يقول فى صرامة :

- معذرة يا مستر (آرثر) ، ولكننى سأجذب لحيتك .

حين قوله بالفعل ، وجذب لحية (آرثر) فى شدة ، فتأوه هذا
الأخير فى ألم ، وسعل مرة أخرى فى شدة ، قبل أن يقول فى
اضطراب وحنق :

- هل أصابتكم لحيتى بالجنون ؟

دفعه الرجل بعيدا ، والتقط سناعة الهاتف ، وضرب أزراره
فى سرعة ، والنظر لحظة ، ثم قال فى الغم :

- كنت على حق أيها الرئيس .. (آرثر) ما يزال فى مكتبه .

أجابه (فومستر) من الجانب الآخر للهاتف ، فى الغم الشديد :

- هذا ما كنت أخشاه .. لقد خدعنا ذلك الثمين .

وأنتهى الاتصال على الفور ، ثم عاد يرفع مناعة الهاتف ،
ويضرب أزرار رقم المستشفى المركزى ، وهو يقول لنفسه
مخفياً :

- ولكنه لن يغادر المستشفى حياً .. أقسم أنه لن يفعل .
ولم أعصاه كان هناك بركان متفجر ..
بركان صنعه الغضب ..
وصنعه الهزيمة ..

لم يكد (دالى) يسقط فأكد الوعي ، على هُبَّت (منى) من
فراشها ، واندفعت نحو (أدهم) ، الذى يرتدى قناع (دالى) ،
وهتلت فى حب وحرارة :

- أنت هذا ؟ .. يا إلهى .. كنت أعلم أنك لن تخلفنى أبدا .
التفت (أدهم) إليها ، وتفجرت عواطفه كلها فى أعصافه ،
ولأول مرة فى حياته ، ترك لمشاعره العنان ، واحتوى (منى)
بين ذراعيه ، وهو يقول فى صوت دافئ جلون ، ويحمل كل حب
الدنيا فى لمبرته :

- لحدك .. هل جننت ؟ .. إننى مستعد لالتزام روحى من

جسدى ، ووضعها عند قدميك ، بكل الحب والسعادة ، استجابة
لإشارة واحدة من مختصر ك ؟

ذابت بين ذراعيه ، مع تلك الكلمات ، التى طال اشتياؤها لها ،
وتعلمت لو يخلو العالم من كل مخلوق سواهما ، فى هذه اللحظة
بالذات ، عندما ضمها (أدهم) إلى صدره القوي فى رفق وحنان ،
وتحصن شعرها بأصابعه ، وهو يهمس فى أذنها :

- أنت بخير ؟

ابتسمت هائسة :

- أستطيع الذهاب معك إلى آخر الدنيا .

تحنس شعرها مرة أخرى ، ثم قال :

- هذا يحتاج إلى بعض الإجراءات .

ثم أبعدا عنه فى رفق ، وابتسم قائلاً :

- هيا يا عزيزتى .. استبرى وأغلق عينيك ، فاستبدل

ثيابى مع هذا الوغد ، وغادر المكان على الفور .

استبدل ثيابه مع (دالى) فى سرعة ، ولم يكد ينتهى ، حتى

سمع صوت (فومستر) ، عبر جهاز اللاسلكى الصغير ، الذى

يحملة (دالى) ، وهو يقول :

- ألقوا القبض على (آرثر) .. إنه شخص زائف .. هل

تسمعوننى ؟ .. ألقوا القبض عليه فوراً ..

لم يكذب سمع هذا ، حتى التحلى بملقط قنّاع (آرثر) في سرعة ،
ويثبت على وجه (داني) ، في نفس اللحظة التي اقتحم فيها رجال
هذا الأخير الحجرة ، وهم يحملون أسلحتهم ، فاستعار هو صوت
(داني) ، في سرعة ودقة مذهلتين ، وهو يشير إليهم ، قائلاً :
- أفضوا أسلحتكم .. لقد أفقنته الوعي .

ثم هبّ ، والفا ، وأمسك (مني) من ذراعها ، وهو يقول في
غشونة :

- إنه طليعة فريق من الإسرائيليين ، يحاول إنقاذ هذه
الجاسوسة اللعينة .. ليكوا هنا في انتظارهم ، وسأبتعد أنا بها عن
هنا .. هيا .. استعدوا للقتال .

وألقى فوهة مسنن (داني) بصدغ (مني) ، مستطرذا في
صرامة .

- اتبعني أيها الجاسوسة ، وإلا نسفت رأسك .. هيا .

تركه الرجال بفائر الحجرة مع (مني) ، وهم يحتفظون
لمقاومة الهجوم الزائف ، في حين قاد (أدهم) (مني) إلى
المصعد ، ولم يكذب بلجه معها ، حتى قال في حزم :

- (هنري) ينتظروننا في أسفل ، داخل سيارة إسعاف خاصة ،
والمنرويض أن نلجأ المكان بأقصى سرعة .

قالت في حنان :

- منتهج بالإن الله .

وفي نفس اللحظة ، كان أحد رجال (داني) يتطلع إلى جسد هذا
الأخير ، الفائق الوعي ، وهو يقول في حذر :

- عجباً .. هذا التتقر يبدو واضحاً للغاية هذه المرة .. كيف
لم نلتبه إليه من قبل ؟

مال رجل آخر بملقط القنّاع ، مجيباً :

- لقد أصبحت هذه الأفعنة مثقلة للغاية هذه الأيام ، و ..

لم يكذب ينتزع القنّاع ، حتى شقّ الجميع في ذهول ، وهم
يحدقون في وجه (داني) ، قبل أن يهتف أحدهم :

- إنه (داني) .. إن هذا الرجل ، الذي اصطعب الجاسوسة ،
لم يكن سوى ..

بتر عبارته بقتة ، واتسعت عيونهم جميعاً ، في ذعر وذهول ،
ثم لم يلبث أحدهم أن انتزع نفسه من ذهوله ، وهو يلتقط جهاز
اللاسلكي الصغير من جيبه ، قائلاً :

- (جيم) .. (هنري) .. أنا (نويل) في أعلى .. لقد قدحنا

شيطان عجب ، واصطعب المجينة ، وهو متتكر في عيلة
(داني) .. لا تجعله بفائر المستشفي أبداً ، حتى لو اضطررنا
لقتله .

تلقى رجال المخابرات ، في الطابق السفلي ، هذه الرسالة ،
فانطلقوا يعدوان نحو المصعد ، واستل كل منهما مسدسه ،

وصوبناه إلى يابيه ، الذي لم يكد يفتح ، حتى ظهر من خلفه
(أدهم) ، في هيئة (ثالثي) ، بصحبة (منى) ..
وبدون تردد ، ضغط رجلا المغابرات زناد مستسبهما ..
وأطلقا النار .



٥ - المقاتل ..

لم يتردد رجلا المغابرات في إطلاق النار ..
لقد أدركا على الفور أن خصمهما هو نفسه ذلك الرجل ، الذي
خدع مدير مستشفى النجون المركزي مرتين ..
ولم يأن من الممكن أن يسمحا له بالفرار ..
هذا لو كان في إمكانهما منعه ..

لقد صوبتا مستسبهما في مهارة ، وأطلقا النار ، ولكن ظل
(أدهم) استوعب الأمر في سرعة كالصاعقة ، وسبق خطوات
الآخرين ، فدفع (منى) جانبها ، وانحرف هو إلى الجانب الآخر ،
وترك رصاصتي الرجلين تفترقان جسم المصعد ، ثم اندفع
نحوهما ، وفتح لك أحدهما بلكمة كالقنبلة ، في نفس اللحظة
التي حطم فيها أنفه الثالثي ، بلكمة ساحقة ، ثم عاد يمسك يد
(منى) شامتا :

- هيا .

الطلقا يعدوان عبر ممرات المستشفى ، وسط حالة من الذعر
والفرع ، سادت المكان ، حتى بلغا ساحة انتظار السيارات
الجانبية ، وهناك استقبليهما (كبرى) ، وهو يمشي :

- أسرع .. سنطلق على الفور .

عاون (أدهم) (متى) على الصعود إلى سيارة الإسعاف ،
والتقط من حقيبة جانبية قناعاً مطاطياً رفيعاً ، يعمل وجه امرأة
عجوز ، ثبته على وجهها في عناية ، وهو يقول في حزم :
- لا تخلصي هذا القناع ، حتى تصل إلى السفارة المصرية .
ومن هناك اطلبي نلقك بجواز سفر دبلوماسي ، وطائرة خاصة
إلى القاهرة) . بصحبة (فندق) .

سألته في جزع :

- أين تأتي معنا ؟

تهدد وقال :

- ينبغي أن أؤمن ظهركما ، وأشغل المطارين عنكما .

تشبثت به ، هائلة في ضراعة :

- لا يا (أدهم) .. سرحل مفا .

قال في صرامة :

- لم تكن مهمتي بعد يا (متى) .. ما زال (هارولد) بين

أيديهم .

قالت ونموها تتألق في عينيها :

- (أدهم) .. أرجوك .

قَرَّرَ في حزم :



ثم اندفع عواماً .. وحشم فلت أحدهما بكلمة كالقنبلة ، في نفس اللحظة
التي سقط فيها أنف الثاني ..

- لم تنته المهمة بعد -

ثم أمسك قلبها في حرارة ، واستطرد في لهجة عاطفية :

- إلى اللقاه يا (منى) .. تنكرى أنتى مستعد دائما للتلبية

لذلك ، مهما كانت الظروف -

هتلت في ذعر :

- ماذا تعنى ؟ .. أين تعود إلى (القاهرة) ؟

بدا التفتّر في عيونه ، وهو يقول :

- لم يكن الوقت بعد يا عزيزتى .. ما زال من الأفضل أن أبقى

- رسمياً خارج هذا العالم .. إلى اللقاه يا (منى) .. إلى اللقاه -

انهمرت دموعها في مراة ، فربّت على كتفها ، قائلاً :

- لا تفسدى القناع .. إنه رقيق للغاية -

وضيح (قبرى) يديه على كتفى (أدهم) ، وهو يقول :

- إلى اللقاه يا سيبكى .. سنتنكر في (القاهرة) .. أضنى ..

علما بعين الوقت المناسب -

أوما (أدهم) برأسه ، قائلاً في تأثر :

- إلى اللقاه يا سيبكى -

وعلى الرغم من تحذير (أدهم) ، بكت (منى) في حرارة ،

و (قبرى) يلود السيارة بها ، إلى خارج المستشفى المركزى ..

ها هي ذى تفك (أدهم) مرة أخرى ..

وفي رأسها دلو سؤال خائف قلبي ..

هل سنتلقى به مرة أخرى ؟ ..

بقى السؤال يترقّد في رأسها ، مع صوت (قبرى) ، وهو يقول

لأحد رجال المشابرات ، الذى يقف عند بوابة المستشفى :

- إنها امرأة عجوز .. لم يقط تأمينها كل العلاج اللازم ، وفُرِّد

أبنائها نقلها إلى مستشفى أقل تكلفة -

فتح رجل المشابرات باب سيارة الإسعاف ، وألقى نظرة على

(منى) ، التى انخرطت في البكاء والتعيب ، فأشار إليها

(قبرى) ، قائلاً :

- إنها متأثرة للغاية - كما ترى -

كان القناع مثقلاً ، والبكاء طبيعياً ، حتى أن رجل المشابرات

اقتنع في سرعة وأشار لـ (قبرى) بالتصريف ، قائلاً :

- أسرع بالتصريف إذن يا رجل ، فمن الواضح أن الموقف

هنا سيزداد تازماً في كل دقيقة -

أجابها (قبرى) :

- أنت على حق -

ثم انطلق بالسيارة ، مبتعداً عن المستشفى ، وبكاء (منى)

يتصاعد ، ودموعها تغرق وجهها ، وتهمر في غزارة ..

ودموعه كذلك ..

بدا (فوستر) شديد العصبية ، على غير عادته ، وهو يستقبل
(إيزاك) في مكتبه ، ويقول في حدة :

- ماذا تريد هذه المرة يا (إيزاك) ؟

جلس (إيزاك) على المقعد المواجه لمكتب (فوستر) ، دون
أن يدعو هذا الأخير للجلوس ، وأسرع بفتح حقيبته ، وابتلع
منها ملفاً بالغ الضخامة ، وهو يقول :

- قل لي يا مستر (فوستر) .. هل رأيت ذلك الرجل ، الذي
يقول بكم كل هذا ؟

لم ترق العبارة لـ (فوستر) ، فقال في لهجة أكثر عصبية :
- ما الذي تعنيه بهذا القول الأحمق يا (إيزاك) ؟

قال (إيزاك) ، دون أن يملك أعصابه :

- أعتنى هل رأيت وجهه ؟ .. هل تعرفته ؟

نوح (فوستر) بفراعه كلها ، وهو يجيب :

- لا أحد رأى وجهه يا (إيزاك) ، ولا أحد عرف بعد من هو ..

هل يكفيك هذا الجواب ؟

أجاب (إيزاك) :

- نحن عرفنا من هو .

ووضع الملف الضخم على مكتب (فوستر) ، مستطرداً في

هزم :

- ها هوذا .

ألقى (فوستر) نظرة على الملف ، الذي يحمل اسم (أدهم
صبرى) بحروف كبيرة ، ثم اعتدل في حركة حادة ، وقال :

- لماذا تصوّرتم أنه هو ؟ .. ألم يمت في (المكسيك) ، منذ عام

ونصف العام ؟

أجاب (إيزاك) :

- لا يوجد دليل واحد موثّق على هذا ، كما أن لدينا ما يجعله

المرشح الأوّل ، لكل ما يحدث هنا .

وراح يروي له قصته مع (سونيا جراهام) بكل التفاصيل ،

حتى التقى بقوله :

- صحيح أنني رأيت رجلنا السابق (موشى نزارانيلس) ، ولكن

القتل بجزم بأن (موشى) قد لقى مصرعه ، فلا يتبقى أمامنا إذن

إلا (أدهم صبرى) ، رجل المخابرات المصرية العنيد ، الذي هزم

كل أجهزة المخابرات في العالم ، و ...

قاطعه (فوستر) في خشونة :

- ليس كلها .

أجاب (إيزاك) في (هزم) :

- بل كلها يا مستر (فوستر) ، لو أنك تفكر فنتأكد معه ،

في ...

قاطع مرة أخرى في حدة .

- لسنا هنا لسماع محاضرة عن تاريخ المخبرات .

ثم أمسك العلف البالغ الضخامة ، وهو يتابع في عصبية :

- وعلى أية حال ، رجائي يعاصرون ذلك الرجل الآن ، في

المستشفى المركزي ، ومن المؤكد أنهم سيوقعون به ، وستعرف

عندئذ من هو .. (موشى يزر لويلي) أم ..

واكتسى صوته بشيء من التوتر ، وهو يضيف :

- أم (أدهم صيرى) ؟

لم يكن (أدهم) يظن أن الخروج بزيارة الأسعاف من المستشفى

بسلام ، حتى غادر مكتبه ، وانطلق نحو الساحة الخلفية

للمستشفى ، وهو يقول لنفسه في سرية :

- هانتذا أصبحت وحيداً في المساحة يا (أدهم) .. أثبت إنك

ما تزال نفس الرجل ، الذي يعرفه من قبل

كان يتجه نحو سلام الطوارئ ، عندما .. حين خلفه صوتاً

يهتف :

.. ها هوذا ..

ثم مرقت إلى جواره رصاصاً ، انخرقت لافتة من اللافئات

الداخلية للمستشفى ، قبل أن تستقر في الحائط المقابل

واستدار (أدهم) في سرعة مذهشة ، وأطلق رصاصاً من

مسنسة ، أصابت مسنسى مطاردة ، وأطاعت به بعيداً ، ثم واصل

عدوه نحو سلم الطوارئ وقلز يتسلقه في خفة وسرعة ، ومن

خلفه صوت أحد رجال المخبرات ، يهتف متحفاً :

- لا تسمعوا له بالقرار .. أو قلوه ..

تابعته رصاصات رجال المخبرات ، وهو يصعد في سرعة .

حتى بلغ نافذة مفتوحة ، في الطابق الثالث ، فقلز منها إلى

الداخل ، وسطحالة من الفزع والأعر ، أصابت رواد المستشفى ،

وصاح مشيراً بيده :

- لا تفرغوا .. إنها تجربة طوارئ فحسب ..

انخرق في نهاية الممر ، ثم أطلق رصاصتين في الهواء ،

واختفى في حجرة جانبية ، فاندفع رجال (باني) ، في حجرة

(مضى) السابقة إلى الممر ، وفتفت أحدهم :

- أين هو ؟ .. أين ذهب ؟

أشارت معرضة القسم إلى الحجرة ، التي اختفى داخلها

(أدهم) ، وهي تقول في رعب :

- هنا .. إنه هنا ..

الذئع الرجال يقتحمون الحجرة في علف ، ويشهرون
سدساتهم داخلها . و ...

ولكن الحجرة كانت خالية تماما ..
وبالت نالقتها مفتوحة ..

وفي جسارة ، اندفع أحدهم نحو النافذة ، وتطلع منها إلى
الخارج ، هاتفا :

- لا أثر له ..

عطف آخر :

- ربما استغل سلم الطوارئ مرة أخرى -

فتشوا الحجرة جيدا ، ثم غادروها في سرعة ، وانتشروا في
المستشفى يبحثون عن (أدهم) ، في توتر بالغ ..

ولكن هيهات ..

لقد اختفى (أدهم صبرى) ..

اختفى تماما ..

الختفى ١٢ ...

صرخ (فوستر) بالعبارة في غضب هائل ، وهو يكاد يعصر
سفاة الهاتف بأصابعه ، فأجابه (داني) من المستشفى ،
والضادات تصبب بالغة المظلم :

- لا أحد يدري أين ذهب .. لقد استعنت وعبي ، لأجد الرجال
حولي ، في حجرة الجاسوسة الهاربة ، وخفية الأمل ترسم
لوحاتها على وجوههم :

صاح (فوستر) في حلق :

- بل القباء والميز هما اللذان يفعلان هذا .. غباء رجالكم
وسافلتهم وعجزهم -

تمتم (داني) ، في صوت محلق :

- لقد فعلو كل ما بوسعهم -

صاح (فوستر) :

- هراء ..

ثم أضاف في حدة :

- لقد خسرنا كل شيء يا (داني) ، ولم يعد لدينا سوى
(هارولد) نفسه ، ولابد أن نحافظ عليه جيدا ، حتى يمكننا كشف
هويته الحقيقية .. هيا .. ألق نفسك في أول سيارة تصادفك ،

وتعال إلى مكتبي على الفور ، لنبحث عن حل لهذه المشكلة ..

أنهى المحادثة في علف ، فقال (إيزاك) في حماس :

- إنه مصري .. فلنقطع ذراعي ، إن لم يكن (هارولد) هذا
مصريا -

رمقه (فوستر) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

- أو إسرائيليا -

لوح (إيزاك) بكفه ، قائلاً :

- ألم تصدقني بعد يا (جيمس) ؟ ، ألا تتكلم بي ؟

أجاب (فوستر) في صرامة :

- أنت لقيت حتى بأمر ..

ثم تراجع في مكتبه ، واستطرد متفعلًا :

- كما أن قصتك هذه تحوي ثغرة ضلعا ، أنت الذي تكلم

لم تنتبه إليها .

رد (إيزاك) في دهشة :

- ثغرة ؟

أجاب (فوستر) :

- نعم يا (إيزاك) .. لقد قالت (سونيا) إنها أنت لتكشف سر

زوجها .. اليس كذلك ؟

قال (إيزاك) ..

- بلى .. ولكن ..

قاطعه (فوستر) في حزم :

- ومن منا يجهل طبيعة ذلك الصراع الشرير ، بين (سونيا)

و (أدهم) ، منذ واجه أحدهما الآخر ؟ .. هل نعلم ، في هذه

الحالة - أن يكون زوج عزيزتنا (سونيا) ، هو نفسه (أدهم

صوري) ؟ .. هل يمكن لشخص واحد عاقل أن يصدق هذا ؟

أجاب (إيزاك) في نوتة :

- لقد بحثت مع القنصل هذه النقطة ، ومن رأيه أن زواجهما

قد يكون السبب الحقيقي ، الذي جعل (أدهم صوري) يطلق سر

وجوده على قيد الحياة .

هتف (فوستر) :

- هكذا ؟ .. هل تظن أن رجلاً مثل (أدهم صوري) ، يمكنه أن

يضحى بحياته العملية كلها ، من أجل قصة حب عجيبة كهذه ؟

تردد (إيزاك) ، وهو يقول :

- أنا لم ندرس الأمر على هذه الصورة ، ولكن ..

قاطعه (فوستر) في حزم :

- اسمع يا (إيزاك) .. أنا أيضاً وضعت هذا الافتراض في

رأسي ، ولكنني لست واثقاً منه بعد ، فلقد رأيت بأمر عيني وكرر

(باتشوسيلازر) ، وقد استحال (إلى ثومة من الزماد) ، وكان (أدهم

صوري) دخلته ، قيل أن ينفجر ، وصدقني .. من المستحيل أن

يتجو مخلوق بشري ، من هذا الحجم .

قال (إيزاك) في حذر :

- لا تنس أن (أدهم صوري) كان يحمل لقب (رجل

المستحيل) .

رمقه (فوستر) بنظرة جانبية ، وقال :

- ربما يا (إيزاك) .. إننى لم أستبعد هذا الاحتمال بعد .
ثم مال فجأة ، وضرب سطح مكتبه بقبضته فى صرامة .
مردفاً :

- ولكن هذا لا يضى أن من حقكم التدخل .
هتف (إيزاك) محترضاً :
- إننا ندافع عن ..

أنطمة (فوستر) صائحاً :

.. ليس هنا .. إننى أمنعكم من التدخل ، فى الولايات المتحدة
الأمريكية ، حتى ولو كان هذا لمقاتلة (أدهم صبرى) نفسه .. هل
تفهم ؟ .. محظور عليكم العمل هنا لأى سبب .

نهض (إيزاك) ، قائلاً فى غضب :

- أفهم يا (جميعم) ، ولكن هذا يضى أن مسئوليتكم
ستتضاعف ، لمهتكم أن تقتصر على حماية أنفسكم فحسب ..
بل ستمتد إلى حمايتنا كذلك .

قال (فوستر) فى صرامة :

- لو لم يكن (هارولد) هنا يعمل لصالحكم خطاً .

بدا مزبد من الغضب على وجه (إيزاك) ، وغادر الحجرة
محتفلاً ، تاركاً (فوستر) خلفه ، وهو يقول لنفسه فى عصبية :

- على الرغم من كل هذا ، لمازلت أثق بأننا لنقاتلك أنت
بالذات يا (أدهم صبرى) .. ولكن لو أنك خطاً على قيد الحياة ،
أ- (فوستر) وحده هو الذى سينال شرف إرسالك إلى المهيم .
ونألفت عينا ، وهو يستطرد :
- أو إلى جنة الأبطال الخملى .. ويسرع مما تتصور ..

★ ★ ★



٦ - نوع من الرجال ..

لم تكن الطائفة الديبلوماسية المصرية الخاصة تتخلى في سماء (نيويورك) ، في طريقها إلى (القاهرة) ، حتى انزعجت (منى) عن وجهها تلك القناع الدقيق ، لوجه الصبور ، وألقته بعيدا . وهي تهتلك في عصبية :

- لم أعد أحملة .

ابتسم (خيري) ابتسامة مشفقة ، وهو يقول :

- أولئك كنت من أن القناع هو السبب ؟

الحرور فت عيناها بالتموج ، وأشاحت بوجهها ، وهي تقول :

- لماذا يصير على البقاء بعيدا ؟ لم لا يعلن للجميع أنه على

قيد الحياة ؟

قال مبتسما في تعاملات حلون :

- القناع ؟

أجابته في حدة :

- أنت تعرف من أقصد ..

تنهد عسيفا ، وقال :

- لديه أسبابه بالتأكيد .



لم تكن الطائفة الديبلوماسية المصرية الخاصة تخلى في سماء (نيويورك) ، في طريقها إلى (القاهرة) ، حتى انزعجت (منى) عن وجهها ذلك القناع الدقيق ..

هلت مخنقة :

- أية أسباب تلك ، التي تبعده عن وطنه ، وتجبره على العيش مع تلك الألفى (سوتيا جراهام) ؟

كزّر في حزن واضح :

- لديه أسبابه حتماً .

هزّم عليهما الصمت بضع لمحات ، بعد جوابه هذا ، ثم سألته هي ، والدموع لتسكب على وجنتيها :

- أتظنه سيبرود ؟

أجاب في اقتضاب :

- بالتأكيد .

بدأته في مرارة :

- لماذا تقولها بكل هذه الثقة ؟

بدأ جوابه بسيطاً مغلفاً ، وهو يقول :

- لأنه يجب (مصر) ، ولن يحتمل الابتعاد عنها طويلاً .

كان الجواب منطقياً للغاية ، بالنسبة لما تعرفه عن (أدهم) .

وعلى الرغم من هذا ، فقد شعرت في أعماقها بمرارة لا حد لها .

وبعزّز أعين من أن تصفه ..

إنها وثيقة من عويته يوماً ، ولكنها لا تدرى متى ؟ وأين ؟ ..

وستنظر صوته هذه ..

ستنظرها مهما طال الزمن ..

٨٢

على الرغم من أن مظهر (داني) كان يبدو مضحكاً ، بتلك الضمادة الكبيرة ، التي تحيط بأنفه ، إلا أن (فومستر) لم يبتسم ، وهو يسأله في حدة :

- لماذا تأخرت هكذا ؟

أجاب (داني) بصوته المختلق ، من أثر الضمادة :

- يبدو أن خصمنا يمتلك قبضة قوية للغاية ، فإزال رأسي

يؤلمني ، حتى أنني استعنت بأحد رجالتي ، ليقوم السيارة بي إلى

هنا .

قال (فومستر) غاضباً :

- كيف تسمح له بهزيمته هكذا ؟

بدأ الضيق على وجه (داني) ، وهو يقول :

- لقد ياخنتي ، وكسر أنفى بقبضته القوية .

نهض (فومستر) ، قائلاً :

- هل تعلم ما أنفى سيجره علينا هذا ؟ .. سيكون هناك تحقيق

ضخم ، بشأن فرار الجاسوسة ، وسيسأل قاضي التحقيقات ،

كيف تم نقلها من السجن النسائي القبرالي ، إلى المستشفى

المنفي المركزي ، وغدلت سيبرز مأمور السجن ذلك التصريح

المزيّف ، الذي منحه إياه ، ليبرّر موقفه . وسيضعنا هذا في

موقف بالغ السوء .

أجابته (داني) مبتسما :

- اطلعت ياسيدي .. لأن يجد لديه سوى ورقة بيضاء ، فقد حرصت على كتابة ذلك التصريح بحير خاص ، بمعنى بعد عدة ساعات .

هتاف (فوستر) في ارتجاج :

- حيا !!

ثم ربت على كتفه في حرارة ، مستطردا :

- أحسنت هذه المرة يا (داني) .. أحسنت بالفعل .

وعاد يجلس خلف مكتبه ، وهو يتابع في سعادة :

- لم أتصور أنك ستفعل هذا ؟

ابتسم (داني) في زهو ، وهو يقول :

- تلميذك التحيب ياسيدي .

ثم عاد حاجباه يلتقيان في جدية ، وهو يستطرد :

- وبالمناسبة .. لقد عرفت من هو خصمنا بالضبط .

سأله (فوستر) في اهتمام :

- من ؟

مال (داني) نحوه ، وهمس :

- إنه (موشى) .. (موشى عزرائيلي) .. رجل (الموساد)

السابق .

اتعلق حاجبا (فوستر) ، وتراجع في يده ، وهو يشبك أصابع

كفيه أمام وجهه ، وسأل (داني) :

- كيف عرفت هذا ؟ .. هل رأيت وجهه ؟

هل (داني) رأسه نلما ، وقال :

- لم أر وجهه أبدا ، وإنما هو أخبرني بنفسه .

تغيرت الشك من فم (فوستر) ، وهو يقول :

- هو أخبرك بنفسه ؟

أجابته (داني) :

- نعم .. كان يزعم بأنه هزمتا ، و ..

استوقفة (فوستر) بإشارة من يده ، وأخذ يفكر فلو يلا في عبق

وضعت ، احترهما (داني) تنامنا ، فلم يقبس ببلت شفة ، وقال

يتطلع إلى رئيسه في اهتمام ، حتى رفع هذا الأكبر عينيه إليه ،

وسأله :

- ما رأيك في هذا يا (داني) ؟

أطلت من عيني (داني) نظرة تساؤل ، فتابع (فوستر) :

- هل يبدو لك من الطبيعي أن يفيزك هذا الرجل باسمه ؟

سأله (داني) في اهتمام :

- ماذا تعني أيها الرئيس ؟

لوح (فوستر) بسمائته ، وهو يقول :

- أعلن أن الأمر كله يبدو مريباً وعجيباً ، فلو أن خصمنا هو
(موشى) حلاً ، فلماذا يكشف أمر نفسه ، مادام يظن أمر وجوده
على قيد الحياة ؟

هرش (دائى) رأسه ، وهو يقول :

- لست أدرى فى الواقع .. ربما ..

قاطعه (فومستر) مثابحاً ، وكأنه يحدث نفسه فقط :

- ولو أنه شخص آخر ، فلماذا اختار (موشى نزاليلى)

بالذات ، وهو يعلم أنه قد لقي مصرعه فى السابق ؟

عاد (دائى) يهرش رأسه يضع لقطات أخرى ، قبل أن يقول :

- لن تجد أدنى جواباً لهذا بأسئدى .. إلا إذا كانت هذه محاولة

من المصريين ، لتوريط الإسرائيليين فى الأمر .

أجاب (فومستر) ، ويصره بشرى بعيداً :

- أو محاولة من الإسرائيليين لإرباكنا ، ودفعنا إلى التفكير فى

نفس هذا الاتجاد ، الذى تقترحه ، لإبعاد الشبهات عن أنفسهم .

ران عليهما صمت آخر ، ثم قال (دائى) فى حزم :

- شخص واحد يملك الجواب الحاسم لكل هذا .

سأله (فومستر) فى اهتمام :

- أى شخص ؟

أجاب (دائى) :

- (هارولد) .. (هارولدوين) ..

وحسم قوله الأمر ..

ارتفع رنين جرس الهاتف ، فى منزل القاضى الفيلزالى ،

فانتزعه من نوم عميق ، وجعله يلفز من فراشه ، ويلتقط ساعة

الهاتف ، وهو يقول فى صوت نصف نائم ، تغلب عليه رنة

الغضب :

- من يظلمنى ، فى مثل هذه الساعة ؟

أتاه صوت هادى ، ويقول بلهجة أمريكية خالصة :

- صديق -

رثد القاضى فى حلق ، وهو يلتقط منظاره ، ويضعه على

عينيه :

- صديق ؟! .. أى صديق هذا ، الذى يوقظنى فى ساعة متأخرة

ك هذه ؟

تجاهل صاحب الصوت الهادى ذلك الغضب الواضح ، وقال

بنفس الهدوء المثير :

- ألم تسأل نفسك يا ميدي ، كيف نجحت الجاسوسة
الإسرائيلية في الفرار ، من المستشفى المركزي ؟
عطف القاضي في دهشة :

- ماذا ؟ .. هل نجحت في ذلك حلاً ؟ .. وكيف ذهبت إلى
المستشفى المركزي ؟

أجابته صاحب الصوت :

- بئس خاس منك .

صاح الرجل :

- متى أنا ؟ .. أو قول أحمق هذا ؟

أجابته صاحب الصوت :

- تصرّح خروجها من السجن الفيدرالي بعمل توفيق

ياسيدي ، ولك تسلمه مأمور السجن من أحد رجال المخابرات
المركزية .

كاد القاضي يتفجر غضباً وغضباً ، وهو يقول :

- المخابرات المركزية ؟ .. ولماذا يدعون رجال المخابرات

المركزية أنهم في هذا ؟ .. ألا يعلمون أن القانون يمنعهم سرعة

من ..

أنهى محضته المكالمة ، قبل أن يتم عبارته ، فحذق القاضي

في ساحة الهاتف لحظة ، ثم أعادها إلى موضعها في عطف ،

وهو يقول :

- الثلاثة :

سألته زوجته في قلق ، عندما حبّ فجأة لارتداء ثيابه :

- ماذا هناك ؟ .. أمي حارب (مافا) جديدة ؟

نوح بكفه ، قائلاً :

- لم يعد هذا يحدث .. إنها قضية جديدة .. قضية ستكون لها

ضجة هائلة ، لو أن ما قاله صاحب هذه المكالمة حقيقياً .. ستكون

(واترجيت) أخرى (*)

سألته في قلق أكثر :

- إلى أين تذهب ، في هذا الوقت ؟

أجابها في حزم :

- سأذهب لأزاول بعض سلاحيات مهنتي ، التي كنت ألتصافها

مع حياة الدعة والكسل هذه .. سأفشل سجون النساء الفيدرالي

تفليشاً مباشراً ، لأنك تملك طرف خيط ، سيحبط بأخلاق بعض

رجال المخابرات المركزية ، ويشتلهم بلا رحمة .

وغادر المنزل بكل صرامة ..

(*) (واترجيت) ، قضية سياسية شهيرة ، في الولايات المتحدة

الأمريكية ، كشفت خلالها سعيان ، أن الرئيس الأمريكي (نيكسون) كان

يتبجح على معارضيه ، في الحزب المنافس ، وقد أثارت القضية ضجة

كبيرة ، اضطر بسببها الرئيس (نيكسون) إلى الاستقالة .

اخرت واحدة من سيارات إدارة المقابر المركزية ذلك
الدخل . على مشارف (نيويورك) . وسط الظلام الذي ساد
المنطقة . وراح فالدها يقودها في مهارة . مستحقا بمنظر
خاص . يتيح له القدرة على الرؤية في الظلام . حتى لا يضطر
إلى إضاءة الأنوار . وفي المقعد الخلفي جلس (فوستر) . وإلى
جواره (داني) . والأول يقول في اهتمام :

- انهم أن نجر (هارولد) على الاعتراف هذه المرة . لتتبدل
من أنه عمل إسرائيل بالفضل .

أجاب (داني) في تراخ :
- اترك لي اختيار الوسيلة أيها الرئيس . وسينطلق لسانه على
الفور .

هر (فوستر) رأسه في قوة . وقال في عزم :
- لا يمكننا أن نترك على جسده أية علامات . تشير إلى
استخدامنا القوة في استجوابه . وإلا فالاستجواب يعد باطلا . في
هذه الحالة .

مط (داني) شفتيه . وقال :
- للأسف .

تنهد (فوستر) . وقال :
- هذا ما تعرضه عليك القوانين الخاصة بالحريات بأرجل .

ولن تجد منها فكنا . صحيح أننا نختلف . (هارولد) في منزل
آمن . يتفكر باستمرار . ومن الصور التوصل إليه . ولكننا لا
نستطيع تقديمه للمحاكمة . ولا إدانته . إلا إذا عثرنا على دليل
مادي قوي ضده .

قال (داني) في حدة :
- وهل نحتاج إلى دليل معائن لنقتله ؟
أجاب (فوستر) في صرامة :
- لن نقتل هذا كثيرا .

انحرف السائق . في هذه اللحظة . داخل منطقة عابرة تقريبا
من الأشجار . وتوقف أمام كوخ خشبي صغير في ملتصقها . وهو
يقول :

- لقد وصلنا .
ظهر عدد من الرجال حول الكوخ . وهم يسويون مذاقهم الآلية
إلى السيارة . فهبط منها (فوستر) . وهو يرفع كفه . قائلا :
- لا داعي للقلق والتوتر بأصفار . إنه أنا .

هبط (داني) خلفه . وسارا متجاورين إلى الكوخ . و (فوستر)
يقول :

- هذا الموقف منهم يسطى دائما . فهو يشك عن نكالتهم
ومهارتهم . إنهم أفضل رجالي .

عمهم (داني) :

- أعلم هذا ..

الآن (فوستر) : دون أن يجيب ، ودفع باب الترخ بیده ، ثم
نلق إليه في خفة ، وتبعه (داني) في هدوء ، ثم تولف متسلخا
إلى الرجال الأربعة المسلحين بالمدايح الآلية ، الذين يحيطون
بالرجل ، الذي أتى من أخته ..
(- هارولد) ..

دفع ممرض المستشفى المركزي عربة الأنواء الطبية أمامه
في ضجر ، وأشار إلى حجرة (منى) المصابة ، وهو يقول لزميلته
السراة :

- هل تترين هذه الحجرة ؟ .. لقد شهنت اليوم قتالاً عنيفاً ، تسبب
في إصابة ثلاثة من اللزلام هذا بأزمات قلبية مفاجئة .
رفعت صليبها الجميلين ، هاتفة :

- إلى هذا الحد ؟

دفع باب حجرة الأنواء ، المجاور لحجرة (منى) ، وهو
يقول ، محاولاً إثارة انتباهها :

- لقد شاهدت ما حدث بنفسی .. كان هناك رجال مسلحون ،

ورجل يقارنونه ، وطلقات نارية .. تناسعا يحدث على شاشة
السينما .

هفتك مبهورة ، وهي تتبعه إلى حجرة الأنواء ، التمتع إلى
بالفي الرواية :

- هل حدث هذا حقا ؟

أحاط وسطها بذراعه ، وهو يقول :

- وأكثر من هذا .. سأروي لك القصة كلها ، ونحن ..

بتر عبارته فجأة ، هاتفا في قلبي :

- ما هذا ؟

مسألته :

- ماذا حدث ؟

أجابها في عصبية :

- هل تسمعين هذا الصوت ؟ .. يبدو أشبه بصوت رجل مكتم
الفم ، أو ...

التقطت مسامعها الصوت نفسه ، في تلك اللحظة ، فقاطعت
هاتفة :

- نعم .. إنه هنا ..

أسرعا إلى دواليب الأنواء الضخم ، وفتحاه على مصراعيه ،
ثم أطلقت الفتاة شهقة قوية ، وهي تحقق في تلك الرجل الضخم

الجثة ، المقيد الذراعين والقدمين ، والمعتم الغم ، الذي برقد
 داخل الدولاب ، في حين هتف زميلها :
 - من أنت ؟ .. ومن جاء بك إلى هنا ؟
 وعندما نزع الكمامة عن فم الرجل ، أتاه الجواب أعجب مما
 كان يتوقع بكثير ..
 وأكثر خطورة ..

جنب (فوستر) شعر (هارولد) في شدة ، وهو يسأله في
 صرامة :
 - أما لنت تصر على قولك هذا ؟ .. أتعلم ما الذي يمكننا فعله
 بك ، لتجبرك على الاعتراف بالحقيقة ؟
 أجابه (هارولد) في تهالك :
 - لقد اخترت الوسائل كلها .. نسيت أنني أعرفها ، وأحفظها
 عن ظهر قلب ؟
 قال (فاني) في حدة :
 - لا .. لست تعرفها كلها .. ما تزال هناك وسائل أكثر عتفاً ،
 ابتسم (هارولد) ابتسامة واهنة ، وقال :
 - لا يمتلك ترك علامات واضحة على جسدي ..



ثم أطلقت الفتاة شهقة قوية ، وهي تحديق في ذلك الرجل الضخم
 الخلد ، المقيد الذراعين والقدمين ..

جذبه (دائى) من سترته ، كائن :

- هل تراهين ؟

قال (هارولد) :

- ولكننى أكنيت باعتزاله ، تفسيري .. ماذا تريدون منى أكثر

من هذا ؟

واجهه (فوستر) ، قائلاً :

- لا ، لا .. حتى أنك إسرائيلي ؟

أجاب : - بوقته :

- أستم تريدون الحقيقة ؟

قال (فوستر) فى صرامة :

- ومن قال إن هذا هى الحقيقة ، وإنك بالفعل ..

قاطعه قريب جهاز الاتصال القفص فى حزامه ، خائتة ،

وضغط زر الاتصال فيه ، وهو يقول :

- من يتحدث ؟

ثم تك داخل الكوخ صوت واضح ، يهتف فى انفعال :

- إنه أنا أيتها الرئيس .. أخبرنى أين أنت بالضبط ، فهناك أمر

بالغ الخطورة ، يتعلق إن تأخذ حذرًا منه .. أين أنت يا سيدي ؟

أين ؟

وهنا حلق الجميع فى وجه (دائى) فى ذهول ، فقد كان

الصوت الذى يسمونه ، عبر جهاز الاتصال ، هو صوته ..

صوت (دائى) ..

وفى ذهول مختلف (فوستر) :

- بالشيطان !.. أهو أنت ؟

وارتفعت فوهات المدافع الآتية الأربعة نحو ذلك الرجل ، الذى

يحمل وجه وصوت ، وجسد (دائى) ..

نحو (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..



٧ - الرجل .. والمستحيل ..

في كل أجهزة المخابرات - تقريباً - ستجد حتماً ملفاً ضخماً ، يحمل اسم (أدم صبرى) ، وعشرات من الصور ، التي تلتصق شكله وهيبته ، في حالات مختلفة من التنكر .. وفي كل الدول ، التي تمتلك أجهزة المخابرات فيها مثل هذا الملف ، خضع الأمر لدراسة طويلة معقدة ، تحمل في مجملها سؤالاً واحداً ، ثم يجد له جهاز مخابرات واحد ، في العالم أجمع ، أى جواب أو تفسير ..

كيف يمتلك (أدم صبرى) ، كل هذه القدرات ؟! .. كيف يمكنه أن يتنكر في هيلتك ، فيصيبك - أنت نفسك - بالحرارة والذبح ، حتى لتسأل : من منكما الحقيقي ، ومن الزائف ؟!

كيف يمكن احتمال شخصيتك ، على هذا النحو المذهل ؟! .. ثم كيف يتحرك - عادة - تلك السرعة المذهلة ، التي تكاد تتجاوز - في بعض الأحيان - سرعة التفكير نفسها ؟! .. ودارت هذه الأسئلة بين عدد من العلماء والأنبياء والمعلّمين

النفساتيين ، دون أن يجد أحدهم جواباً علمياً شافياً ، وعلى الرغم من هذا ، فقد استقرّ الجميع على رأى واحد ..

إن (أدم صبرى) ليس شخصاً عابثاً .. إنه نوع من الطفرة ، التي تظهر بندرة شديدة ، حتى لا ينعم الجيل الواحد بأكثر من شخص كهذا .. أو قل التصور الواحد ..

ولقد قرأ (فوستر) هذا الملف كله .. وقلبه لم يخشعه .. ثم يكن قد اختبره بعد .. حتى هذه اللحظة ..

لقد رأى فوهات مدافع رجالة ترتفع في وجه (أدم) ، ثم رأى (أدم) يتحرك دون سلاح .. وتراجع (فوستر) في حدة ، ومزيج من الدهشة والخوف يملأ نفسه ، مع ما تشاهده عيناه ..

لقد تحرك (أدم) بسرعة مذهلة ، فركل مدافع أقرب الرجال إليه ، وركبه يطير إلى ما قرب سقف الكوخ ، في نفس اللحظة التي جذبت فيها يده مدافع رجل آخر ، ثم هوت أفضته على فك الرجل الأول ، وواصلت انطلاقها ، المتحطمة في الثاني ، في حين ارتفعت قدمه اليسرى لضرب الثالث في معدته ، ثم هاز ملقطة المدافع

الآلى ، فى طريق عودته إلى الأرض ، وأمسك بعاصورته ،
وهوى بكعبه على وجه الرجل الرابع ..

كل هذا فى ثوان معدودة ..

ثوان لم تسمح لأحد الرجال الأربعة بإطلاق رصاصة واحدة ،
قبل أن يتكلموا جميعا فألقى الوعى ، فى ركن الكوخ ، ويصوب
(أدهم) مدفع أحدهم إلى (فوستر) ، الذى التصق بجدار الكوخ
فى زعر ، و (أدهم) يقول فى سخرية :

- معتزة بأرجل .. هل أزعجتك ؟

تطلقها بعمرية سليمة ، جعلت (فوستر) يحثق فيه فى ذهول ،
وأربكت (هارولد) أيضا ، فلم يعد يدري هل (أدهم) هذا الصالحه ،
أم ضد صالحه ..

أما (أدهم) ، فقد توج حديثه مع (فوستر) ، قائلا بنفس الثقة
والسخرية :

- أشكرك أن قننتنى إلى (هارولد) يا مستر (فوستر) ، فقد
ولدت على ذلك وقتا طويلا ، كنت سأضيقه فى البحث عنه .

شعب وجه (فوستر) ، وهو يقول :

- ولكن كيف ؟ كيف فعلتها ؟

هل (أدهم) كلفه ، وقال :

- أمر بالغ البساطة .. لقد عدت إلى حجرة زميلتى ، بعد أن

خدعت رجلك الأغبىاء ، وجعلتهم يطاردوننى إلى حجرة أخرى ،
مطلقا النار فى الهواء ، وهناك أبليت ثيابى مرة أخرى مع
(دانس) ، وقننته فى إحكام ، وألفيته فى حجرة الأنوات .
المجاورة لحجرة زميلتى ، مستغلا غلو العمر من الطالبين
بالمستشفى والمرضى ، مع توتر الأحداث ..

غمغم (فوستر) ذاهلا :

- يالك من داهية .. إنك تُعجب حقيقى ..

ثم تقبّر غضبه دفعة واحدة ، وهو يستعرد :

- ولعلك لن تخرج من هنا حيا ..

ابسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

- أتظن هذا خطأ ؟

صاح به (فوستر) :

- بل أجزم به .. هل رأيت هؤلاء الرجال ، الذين يفلتون
بالتحارج .. إنهم - كما أخبرتك - أفضل رجالى ، ولقد تربتهم
على الشك فى أقرب المعربين إليهم ، وعند خروجى من هنا ،
ينبى أن أطلق أمامهم بكلمة سر خاصة ، لا يعطونها سواهم
وسواى ، وإلا فإنيهم سيفترضون على الفور أننى شخص زائف ،
وسيلفون القبض على ، أو يقتلوننى عند المقلومة ، ومن المؤكد

اننى لن أشبك بهذه الكلمة قط ، حتى لو اتصلت شخصيتى
ومزقتى (ربما) .

وضبط أسأله فى شراسة ، مستغزداً :
- صدقنى يا فتى .. ليس لديك أبلى أمل .. لقد خسرت
معركتك .. خسرتها تماماً ..

التفجع بأمر السجن الميزالى القمئى ، يستقبل القاضى فى
حرارة وارتياك ، وهو يصالحه قائلاً :

- مرحباً بك يا سيدي القاضى .. أى رياح طيبة ألفت بك هنا .
أجابه القاضى فى صرامة :

- إنه تفتيش مفاجئ .
رئد المأمور فى دهشة :

- تفتيش ؟
أجابه القاضى فى حدة :

- نعم أيها المأمور .. تفتيش مفاجئ .. أصبح اننى لم أقم
بمثله منذ زمن طويل ، ولكنه من مقتضيات موقعى .. أنيس

ذلك ؟

هتف المأمور :

- بالطبع يا سيدي .. بالطبع .. السجن كله وهن إشارتك .
سأله القاضى مباشرة :

- أين الجاسوسة (هانا) ؟

ارتبك المأمور ، وهو يجيب :

- إنها لم تعد هنا يا سيدي .. لقد تم نقلها إلى المستشفى
العركلى ، بأمر مباشر منك ، وتسلمها رجل مخابرات يدعى

(دانس) .

قال القاضى فى صرامة :

- هل يمكننى رؤية هذا الأمر ؟

أجابه وهو يفتح مكتبته فى سرعة :

- بالطبع يا سيدي .. بالطبع .

التقط التصريح ، وناولوه إلى القاضى ، الذى قرأه فى عناية ،
وفتقد حاجباه فى غضب ، عندما وقع بصره على توقيع

الزائف ، ثم قال :

- حسناً أيها المأمور .. ستشهد بأن هذا التصريح هو نفسه ،
الذى تسلمته من رجل المخابرات ، وستعتبره دليلاً فى القضية .

شحب وجه المأمور ، وهو يقول :

- القضية ؟ .. أية قضية ؟

أجابته القاضى فى حزم صارم :

- قضية الموسم بارجن .. القضية التى ستطرح بالفساد ، فى أكبر وأقوى أجهزة الأمن لدينا .. جهاز المخابرات المركزية .. وارتجف المأمور ..

شعر (هارولد) بقلقى بالغ ، وهو ينقل بصره بين (أدم) و(فوستر) ، بعد أن نطق الأخير عبارته ..

لم يكن يعلم من هو (أدم) بالضبط ، ولكنه رآه يعمل ، وأدرك أنه يقاتل إلى جانبه ، وأنه ليس شفعنا عابثا ..

وكان يجهل كيف يمكنه الخروج من هذا الموقف ..

وعلى عكسه ، بدا (أدم) هائلا ، وهو يقول :

- من الخطأ أن تعلن هزيمتى ، والقتال لم ينته بعد يا (فوستر) .

قال (فوستر) فى شراسة :

- إن يمكنك الخروج من هنا ، على قيد الحياة .

رفع (أدم) قبضته ، وهو يقول فى مغررة :

- دع لى هذه المهمة .

- ومرة يلى على (فوستر) كالقذيفة . فلا تطع تعلم

المخابرات الأمريكية بجدار التكوخ ، ثم سقط فاقط الوعى ..

وهتف (هارولد) فى قلق :

- ماذا ستفعل الآن ؟

أجابته (أدم) فى هدوء :

- لا تفلق .

ثم انتزع قناع (دانز) عن وجهه ، وشهق (هارولد) فى

دهشة . وهو يحتق فى القناع الآخر أسلحه ، والذي يجعل من

(أدم) نسخة طبق الأصل من (فوستر) . وهتف (هارولد) :

- كيف تفعل هذا ؟

أجابته (أدم) ، وهو يخلع عن (فوستر) مظهره ، ويرتديه

بدلا منه .

- ارتداء الأقنعة فوق بعضها البعض ، يوفر الكثير من الوقت

أحد الضرورة .. لقد تعلمت هذا فى مهمات سابقة .

هز (هارولد) رأسه . وهو يقول :

- لست أقصد هذا .. بل أقصد كيف يمكنك التتكر ، بهذه الدقة

المذهلة ؟

ابتسم (أدم) ، وهو يحل قيوده ، قائلا :

- مسألة خبرة يا صديقى .

لم تكذ قيود (هارولد) تسقط ، حتى هبّ والقا ، وقال :

- والآن كيف يمكننا الخروج من هنا ، ونحن تجهل كلمة السر ؟

اللقط (أدهم) أحد المدققين الآليين ، وهو يقول :

- كلمة السر هذه تستخدم في الأحوال العادية بارجل .

سأله (هارولد) في حيرة :

- ماذا تقصد ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- أقصد أن نخرجنا من هنا لأن يكون أبدا حالة عادية .

ثم أطلق رصاصات مدفعة الآلي في الهواء ، وجنب

(هارولد) ، هاتفا :

- هيا بنا .

واندفع معه خارج الكوخ ، واستقبله رجال (فوستر) بقوالب

مدافعهم الآلية . فهتف مستغيضا صوت (فوستر) بدقة مذهلة ،

أثارة دغشة (هارولد) وأعجابه :

- خيانة .. هذا الرجل ليس (دقي) .. حاصروا المكان ، ولا

تسمعوا له بالخروج .

أسرع الرجال يحيطون بالكوخ ، ويضربون مدافعهم إليه ، في

حين دفع (أدهم) (هارولد) أمامه ، وهو يصيح بصوت مرتفع :

- تقدم أمامي أيها الجاسوس .. سنبتعد عن هنا .



وشهق (هارولد) في دغشة - وهو يحدق في الفاع الأخير أسلحه .

والذي يجهل من (أدهم) تسخه طلق الأطل من (فوستر) ..

دفعه داخل السيارة ، التي أتت به إلى المكان ، وصاح في
سائقها :

- ابتعد بأقصى سرعة .. هيا .
انطلق السائق بالسيارة على الفور ، مستخدماً منظاره
الخاص ، للرؤية الليلية ، فهتف أحد رجال (فوستر) :

- مستر (فوستر) لم يلق كلغة السر .
أنجابه آخر في لقي :
- يا للشيطان !- أعشى أن يكون في الأمر خدعة .
اندفع الجميع يقتسمون الكوخ ، ووقع بصرهم على (فوستر)
الغامد الوعى ، وحوله رجاله الأربعة ، فصاح أحدهم :

- إنها خدعة بالفعل .
ثم اندفع إلى الخارج ، مستطرداً في انفعال :
- فلابق أحدهم لإسعاف مستر (فوستر) ، وليتبعنى
الأخرون .. سنلتحق بهذا الرجل .
اندفعوا نحو سياراتهم ، والتفت قائدهم مساع جهاز اللامسكى
الخاص بالسيارة ، وختف :

- لا تتطلق بهذا يا (أندى) .. الرجل الذى تحمله ليس السيد
(فوستر) .. إنه شخص زائف .. زائف يا (أندى) .
والمستغرب ، لم يكذب (أندى) يسمع هذه العبارة ، صبر جهاز

اللامسكى ، حتى ضغط زراً خاصاً ، فى أرضية السيارة ، وانتزع
جهازه ..

وفى سرعة اليرق ، هبط حاجز زجاجى سميك ، بينه وبين
المقعد الخلفى ، حيث يجلس (أنهم) و(هارولد) ، وأغلقت
الأبواب الإلكترونية فى إحكام ، ثم انطلق غاز مضطرب داخل الجزء
الخلفى للسيارة ، و(أندى) يقول سائلاً :
- لم تنجح لعبتك هذه المرة يا رجل ،
وامتلات الكابينة الخلفية بالغاز .



انتفض جسد (فوستر) في شدة ، وهو يستعيد وعيه ، داخل
الكوخ الخشبي الصغير ، ولم يكد بصره يقع على ما حوله ، حتى
هبط وألقا ، وهو يهتف :

- أين ذهب الرجل ؟

أجابته الشاب الذي بكى لإسعافه في ضيق :

- لقد انتحل شخصيتك ، على نحو مذهل ياسيدي ، ونجح في

خداعتنا جميعا ، وفر في سيارتك ، و ..

قاطعه (فوستر) قائلا :

- أيها الأكعياء الحمقى .. لماذا لم تسألوه عن كلمة السر ؟

ارتبك الشاب ، وهو يقول :

- لقد جرى الموقف على نحو عتيق ، أوحى إلينا بحدوث قتال

في الداخل ، ولقد أمرنا هو بصوتك أن ..

قاطعه (فوستر) مرة أخرى في خلق :

- كلي ..

بقر الشاب عبارته ، ثم أسرع ويقول :

- ولكن (أندى) أوقع به ، وحاصره داخل حجرة الغاز
الخلقية .

عنتف (فوستر) منزعجا :

- هل استخدم الغاز السام ؟

أجابته الشاب :

- بل الغاز المعطر .

قال (فوستر) في شراسة :

- غدا أفضل .. إلني أريد حيا .

ثم اختطف من الشاب جهاز-الاتصال الخاص به ، وضغط

زراره ، وهو يهتف :

- كيف الحال عنده يا (أندى) ؟

لم يتلق جوابا من (أندى) ، مما فجر القلق في أعماقه ، فقال

في عصبية وتوتر :

- اتصل بالهليلوكوبتر ، واظلب منها الخضور بأقصى

سرعة .. إنا نقاتل شيطانا رهيبا ، ولا ينبغي أن نتق بمصرع

الشيطان . (لا وانت تدفن اطرافه المعركة ..)

وصمت لحظة ، ثم أضاف في مكث :

- وبالثبات هذا الشيطان ..

أطلق (أندي) ضخمة طائرة منطوقة ، عندما انطلق الغاز في
الجزء الخلفي المعزول من السيارة ، وراح يبعث بمسسه ، وهو
يراقب في تلك (أدهم) و (هارولد) ، وهما يحاولان تقادى الغاز ،
الذي يتبع من كل صوب ، ويملا للفص الزجاجي في سرعة
مذهلة .

وفي سخرية لإذعة ، قال (أندي) :

- إنها هوائى المفضلة .. أحب أن أشاهد القتران ، وهى
تسقط فائدة الوعى ، قبل أن أقطع أعناقها بيدي

رأى (هارولد) يسقط قائد الوعى ، في حين قاوم (أدهم) ،
وهو يكتم أنفاسه في قوة ، ثم ضم قبضته ، ولكم بها الزجاج في
عنف ، فقهقه (أندي) ضاحكا ، وقال في سخرية :

- لا تحاول يا رجل .. هذا الزجاج سمك نصف سنتيمتر ، وهو
مدعوم بطبقة بلاستيكية في منتصفه ، ولن يمكنك تحطيمه أبدا .
ولكن (أدهم) لكم الزجاج مرة ثانية ، بدوى عنيف ، تلاشى
مع ابتسامة (أندي) وحل القلق محلها ، عندما ظهرت شروخ
رفيعة على الزجاج السميك ، ورفع مسدسه ، قائلا :

- لو أن الغاز لا يكفوك ، و ..

قبل أن يتم عبارته ، هوت قبضة (أدهم) للمرة الثالثة على
الزجاج ، واخترقته في قوة ، وحطمت فك (أندي) كقبضة عتيقة .

لحقت الرجل إلى الخلف في شدة ، فارتطم رأسه بالزجاج
الأماسي ، في نفس الوقت الذى هوت فيه قبضة (أدهم) على
الزجاج مرة رابعة ، لتفتح فجوة أوسع ، اندفع جسده عبرها في
ليونة ، وانحس نصفه العلوى إلى أسفل ، وضغط ذلك الزر ، الذى
استخدمه (أندي) من قبل ، فتولف ضخم الغاز ، وهبطت بقايا
الحاجز الزجاجي ، وانفتحت الأبواب ..

ولقد (أدهم) خارج السيارة ، يستنشق الهواء النقي ، ويملا
به رتبه لحظات ، ثم لم يلبث أن انتزع (أندي) من مكانه ، وانتزع
منظاره المعدل رؤية الليثية عن عينيه ، وأسرع يرتديه ، ثم أحل
مكان القيادة ، في نفس الوقت الذى ظهرت فيه سيارات المكايرات
الثلاث ، التى انطلقت خلفه ..

واطلقت اطارات سيارة (أدهم) صريحا عتيقا ، وهى تنطلق
كالصاروخ ، وسط الدغل الكثيف ..

وانطلقت السيارات الثلاث خلفه ..

وهنا تجلج فارق المهارة واضحا ..

لقد كان الجميع يستخدمون نوعا واحدا من السيارات ، له قدرة
مماثلة ، ولكن سيارة (أدهم) بدت أكثر سرعة وخفة ، من
سيارات الثلاث الأخرى ، وهى تتاور وتراوغ في مرونة ،
وتجاوز الأشجار في مهارة مذهلة ..

ثم فزت سيارة (أدهم) إلى الطريق . ولحقت بها السيارات الأخرى ..

وبدأت مطاردة متعشة ، عبر طريق (نيويورك) ..
ومن سوء حظ (هارولد) ، أنه لم يشهد هذه المطاردة العنيفة ،
التي أثبت خلالها (أدهم صبرى) ، أنه أفضل وأقهر وأكفى من
قائد السيارات ، في النصف الأخير من القرن العشرين ..
حتى قادة السيارات الثلاث الأخرى اعترفوا بهذا ..
كانوا يتقنون أقصى طاقاتهم ، لتحاق به ، وعلى الرغم من
هذا فلم يتجح أحدهم حتى في الاقتراب منه ..

ثم ظهرت الهليكوبتر ، التي يستقلها (فوستر) ..
ومع ظهورها أصبح الموقف شديد الحساسية ..
وشديد الخطورة ..

خاصة عندما بدأت هليكوبتر (فوستر) تعطر سيارة (أدهم)
بالبترول ..

ولكن الرصاصات ارتطمت بجسم السيارة ، وارتدت عنه في
عنف ، فعصر (فوستر) شفطته في غيظ ، وهو يقول :
- يا الشيطان .. نسيت أنه يستقل سيارتي العسلية ..
سأله الطيار :

- ماذا يمكننا أن نفعل الآن ؟

أجابته في حدة :

- اسبقه .. واعترض طريقه .. أو حتى تنسف السيارة
بصاروخ أو صاروخين .. المهم ألا يتجح في الفرار ..
ورأى (أدهم) الهليكوبتر تتجاوز ، فأدرك بخبرته ما يعنيه
هذا ، وجذب فرملة اليد في علف ، فإطلقت السيارة صريراً
مزعجاً ، وهي تدور حول نفسها ، قبل أن يسيطر عليها (أدهم) ،
ثم ينطلق بها في الاتجاه العكسي ، في مواجهة السيارات الثلاث
تماماً ..

وصرخ قائد إحدى السيارات الثلاث :

- ماذا يفعل هذا المجنون ؟

قائلها وانحرفت سيارته في علف ، ليصبح الطريق أمام سيارة
(أدهم) ، التي تجاوزته كالصاروخ ، وارتطمت بمؤخرة
سيارته ، فدفعتها خارج الطريق . معترضه بمقدماتها طريق
سيارة أخرى ، اصطدمت بها في قوة .. و ..

ودوى الانفجار ، الذي نسف السيارتين بركابيهما تسلاً ..
وفي السيارة الثالثة ، هتف أحد رجال المخابرات في غضب :
- أبها الوغد .. لقد قتلتهم جميعاً ..

أدار سيارته في حدة ، كانت تلقبها بدورها خارج الطريق ،

ثم عاد ينطلق خلف (أدهم) ، في حين ارتفعت الهليكوبتر مرة ثانية ، وعاودت اندفاعها لمطارئده ، والطيار يقول :

- لقد خسرتنا مئارتين .

غصم (فوستر) في مرارة :

- بل خسرتنا قوامتنا وسعمتنا .

قالتا وهو يتابع سيارة (أدهم) ، التي واصلت انطلاقها . متجهة إلى مدينة (نيويورك) . ثم لم يلبث أن أشار إلى السيارة قائلا في حلق :

- انسفه يا (كليفين) .. انسفه .

ضغط (كليفين) زر استعداد الصواريخ ، المشبقة بجسم الهليكوبتر ، ثم انخفض بالطائرة فجأة ، وأطلق أحد الصواريخ نحو سيارة (أدهم) ..

وانفجر الصاروخ خلف السيارة تعالما ، وكاد يدفعها إلى الأمام ، لولا أن سيطر عليها (أدهم) ، وبدأ ينطلق بها في خط متمرج ، وعصار لولبي عسير ، فصاح (فوستر) :

- حاول ألا تطغى الهدف هذه المرة .. لقد خسرت فرصة ثانية .

حاول الطيار تصويب صاروخه هذه المرة ، وأطلقه ، ولكنه انفجر إلى بعين السيارة ، فصرخ (فوستر) :

- أخطأت مرة أخرى .

هتف الطيار مرتبعا :

- أرايت كيف ينطلق بالسيارة ؟ .. إنه شيطان حقيقي .

صرخ (فوستر) :

- انسفه .. حتى ولو كان زعيم الشياطين نفسه .

سرى التوتر في عروق الطيار ، وحاول أن يصوب صاروخه في دقة هذه المرة ، ولكن (أدهم) انحراف بحركة مباغتة ، وانحرفت خلفه السيارة المتباعدة ، وصرخ (فوستر) :

- انسفه .

وضغط الطيار زر إطلاق الصواريخ ..

وانطلق الصاروخ ..

ودوى الانفجار هذه المرة ..

وانسعت عبثا (فوستر) ، وهو يحلق في السيارة المشتعلة ، التي تحطمت على جانب الطريق ، وصرخ :

- أيها الظبي .. لقد لمحت رجائنا .

شحب وجه الطيار في شدة ، واندفع بكل غضبه وخلفه خلف سيارة (أدهم) ، وصوب إليها الصاروخ المتباعد ، وهو يهتف :

- سأصيبه هذه المرة يا سني .

٩ - سيرا على الأقدام ..

ارتفع حاجبا الرئيس الأمريكى فى لحظة بالغة ، وهو يطالع ذلك التقرير ، الذى أبلغه القاضى الفيدرالى خصيصا ، أبقعه إليه ، ورفع عينيه إلى القاضى ، قائلا فى قلق :
- أنت جاد فى مطلبك هذا أيها القاضى ؟

أجاب القاضى فى حزم :

- تمام الجدية ياسيدى الرئيس .. (لنى أطالب بإلغاء القبض على (جيمس (تورل فوستر) ، نائب رئيس جهاز المخابرات الأمريكى ، وعلى عدد من رجاله ، وعلى رأسهم مساعد (دالى) ، بتهمة خرق القانون الأمريكى ، ومخالفة الدستور ، والتقيام بأعمال إجرامية ، تدخل تحت طائلة القانون ، كما لو كانوا عصابة من المجرمين ..

بدأ الرئيس شديد القلق ، وهو يقول :

- ولكنها ستكون فضيحة كبيرة أيها القاضى .

قال القاضى حازما :

- لن نلحق (واتر جيت) بإسادة الرئيس .

أترك الرئيس ما يعتبه القاضى ، فسط شفتيه ، وتنهَّد فى عرق ، ثم جلس خلف مكتبه ، مرثدا :

وضغط زر الإنذار ..

وفى هذه المرة نلذ وعده ..

وأصاب الهدف ..

أصاب سيارة (أدم) .

★ ★ ★



- نعم .. ان تلقوا (واترجعت) .

ثم انتظ ورقة من فوق متنبه ، وهو يقول بلهجة من حسم
أمره :

- القانون هو القانون باسبادة القاضي .. وكل من يخالفه
يتعرض للعقاب ، حتى لو كان مدير المخابرات نفسه .
وولع أمر إلغاء القبض في حزم ..

أصاب الصباروخ حقيبة السيارة مباشرة ، وانفجر ، ولولا
جسم السيارة النصلح ، لأودى بها الانفجار تمامًا ، ولكن ما حدث
هو أن السيارة وثبت في عطف ، وانقلبت على جانبها الأيمن ،
وسقطت خارج الطريق ، واشتعلت النيران في حقيبتها
المنسوفة ..

وبدء الدامية ، من أثر الزجاج ، الذي عظمه بقبضته ، فتح
(أدهم) باب السيارة الأيسر ، وحمل جسد (هارولد) ، وحلف خارج
السيارة وابتعد بأقصى سرعة وسط الأعشاب ..
ومن خلفه نوى الانفجار ..

انفجر حُرَّان الوقود بالسيارة ، وتناثر التلّهب في دائرة
واسعة ، أحاطت بـ (أدهم) وحمله ، وأضاعت المكان كله ، فهتف

(فومستر) ، وهو يشير إلى (أدهم) ، الذي يحمل (هارولد) الفاقد
الوعى :

- ها هوذا .. بل هاهما ذان .. هيا .. حاول إجبارهما على
الاستسلام ، فلو هرب (هارولد) أوقفه مصرعه ، سنحسّر اللعبة
كلها .

اندفع الطيار نحو (أدهم) ، وراح يطلق نيران مدفعيه الآليين
حوله ، لإجباره على الاستسلام ..
ولكن (أدهم) أدرك هذا ..

أدرك أن (فومستر) يرغب في الإيقاع به على قيد الحياة ، ولا
لأمة الطيار بإطلاق النار عليه مباشرة ..

ومع إنركته للأمر ، قرّر (أدهم) أن يشير للعبة لحسابه ..
وأن يقلب الأمور رأسًا على عقب ..

ويكلم قوته ، راح (أدهم) يعدو ، خارج دائرة النيران ، وهو
يحمل (هارولد) ، ورصاصات الهلوكوبتر تعارده ، حتى تجاوز
المنطقة ، فوضع (هارولد) أرضًا ، ثم مال جانبيًا ، واغتلى وسط
دغل أغر قريب ، فهتف (فومستر) :

- اللعبة أ.. ستفقد أثره .

سأله الطيار :

- هل تحاول البحث عنه ، أم لتتلق الأشر ، الفاقد الوعي ،
أولًا ؟



لقد ارتفعت الهليكوبتر في سرعة (ولكن بأدنى) بلغ مقادير
الخطوة الثالثة ، ووثب وثبة مذهلة ، لتبتلع بإطارها السفلى

أجابه (هوستر) في خلق :

- دعنا ننتقل (هارولد) أولاً ، هبوطه تقصد القضية كلها .
خطت الطيار إلى جوار جسد (هارولد) . وغادر الهليكوبتر
لتجعله ، ويعود به إلى الهليكوبتر . و . .
وفجأة ، برز (أدوم) من الدغل . وهو يتدفق نحو
الهليكوبتر . . .

وأدرك (هوستر) الخدعة على الفور ، فهتف :
- يا للشيطان !

ثم انقل من مقعده في سرعة ، إلى مقعد الطيار ، وجنب ذراع
القيادة ! وهو يستلرد :
- إنها خدعة .

ارتفعت الهليكوبتر في حركة حادة سريعة ، وصاح الطيار في
دعوى :

- انتقل يا سيدي . . (لك) .

بتز عبارته في دهول ، وهو يبتلق فيما حدث . .
لقد ارتفعت الهليكوبتر في سرعة ، ولكن (أدوم) بلغ موقعها
في اللحظة الثالثة ، ووثب وثبة مذهلة ، لتبتلع بإطارها السفلى ،
في مشهد أقسم الطيار فيما بعد ، أنه لن ينساه أبداً ، مهما طال
به العمر . .

مشهد يدا فيه (أدهم) أشبه بطائرة بشرية صغيرة ، انطلقت من الأرض ، ثم انصرفت بالهليكوبتر ، التي اختل توازنها لحظة ، قبل أن يستعيد (فوستر) سيطرته عليها ، وهو يهتف : - إنه (أدهم صبرى) .. أقسم إنه كذلك .

ولكن جسد (أدهم) انثنى فى مرونة مذهشة ، ليغفل داخل الهليكوبتر ، وهو يقول فى سخرية :

- (أدهم صبرى) لا يقولنى كثيرا يارجل -

نظفها بالعيرة ، فاستعيت عينا (فوستر) فى دهشة ، ثم استل مسدسه ، هائلا ،

- لن تقلبنى أبدا بالك (موشى ذر اللى) .

ضرب (أدهم) يده فى بساطة ، وانتزع منه مسدسه ، ثم انتزع جسده كله من أمام نراع القيادة ، وهو يقول :

- ومن يحتاج إلى إقاعك .

وهوى على فكة بلكمة عنيفة ، قبل أن يحتل هو مقعد القيادة ، ويعد إلى الهليكوبتر توازنها ، ثم يبدأ الهبوط فى هدوء ..

ولم يلفد (فوستر) وعيه هذه المرة ، ولكن الدنيا غامت أمام عينيه ، وفقد عقله القدرة على التفكير مؤقتا ، حتى سمع (أدهم) يقول للطيار ، وهو يصوب إليه مسدسه :

- غيا يارجل .. لحمل جسد (هارولد) إلى هنا ، وأبعد ريتسك عن الطائرة .

أطاعه الطيار ، فأخرج (فوستر) من الهليكوبتر ، ووضع (هارولد) على المقعد المجاور لـ (أدهم) ، واستعاد (هارولد) وعيه ، فى هذه اللحظة ، فغمغم فى حيرة :

- أين أنا ؟ .. ماذا حدث ؟

نطقها بالأمريكية ، التي لم يعرف لغة سواها ، منذ سنوات عديدة ، فقال (أدهم) ، وهو يبتسم فى هدوء :

- كل شيء على ما يرام ياسديقى .. فلنحمد الله (سيحانه وتعالى) ، على أنك ما تزال على قيد الحياة .

تطلع (هارولد) حوله فى دهشة ، وهتف :

- كيف فعلت كل هذا ؟

أجابه (فوستر) فى غضب ، وقد استعاد توازنه :

- لن يذهب بك بعيدا .

بدأ (أدهم) يرتفع بالهليكوبتر ، وهو يقول :

- هليكن يا عزيزى (فوستر) .. أما أنت ، فتستضر للذهاب بعيدا ، حتى تجد أقرب منطقة مأهولة ، ولتتأكد -تستضر لقطع كل هذه المسافة ميرا على الأقدام - من سوء حظك .

وأطلق ضحكة ساخرة عالية ، وهو يرتعد بالهليكوبتر ، فخرج (فوستر) بقبضته فى الهواء ، صارخا :

- انهب إلى الجحيم .. ان تفلت أبداً .

ثم رفع ساعته إلى يده في سرعة ، وضغط زرًا خفيًا فيها ،
وهو يقول :

- هذا الرئيس (فوستر) .. لقد استولى غصصنا على
الهليوكوبتر ، وهو ينطلق نحو النقطة (هـ - ٣) .. أرسلوا
خلفه طائرتين مقاتلتين ، من طراز (إف - ٢٠) .. أريد أن
يستغرق رجال المعمل الجلاشي شهرًا كاملًا ، لاستخراج بقاياها من
بين حطام الطائرة ..

والهيس الاتصال ، وهو يرفع عينيه إلى السماء ، مستغرقًا في
مفكرات كامل .

- قلت : إنك لن تذهب بعيدًا أبها الشيطان .. وهذا وعد ..

التفتض جسد (هارولد) ، عندما نقل إليه لاستولى الهليوكوبتر
رسالة (فوستر) ، وأرتجفت الكلمات على شفاهه ، وهو يقول :
- لقد أطلق خلفنا طائرتين مقاتلتين .. لأن يمكننا النجاح كله .
أجاب : (أنهم) في هدوء ، وهو ينطلق بالفضى سرعة :

- اعلمن .. لقد أعددت كل شيء .

خلف (هارولد) :

- ألا تفهم ؟ .. ستواجه طائرتي هالتسوم ، من طراز
(إف - ٢٠) .

أجابه (أنهم) :

- أعلم هذا .. اعلمن .

التصق (هارولد) بمقعده ، وهو يحرق في وجه (أنهم)
بذهول ..

ثم يفهم العبارة أبداً ..

كيف يعلمن ، وهو يواجه مثل هذا الخطر الرهيب ؟

كيف بهذا ، وهو يعلم أن الموت قاب قوسين أو أدنى منه ؟
والأنهم هو : كيف يبدو ذلك الرجل ، الذي يلقود الهليوكوبتر ..
هناذا إلى هذا الحد ؟

كلها أسئلة بلا جواب ..

ومن بعيد ، لاح الطريق للرئيس ، الذي يقود إلى قلب
(نيويورك) ، فتهلث (هارولد) ، وقد انشغل الأمل في أعماقه :
- ها هو ذا الطريق .. لو أمكننا الوصول إليه ، فقد ..

بتر عبارته ، وضاع الأمل من قلبه ، الذي هوى بين قدميه ،
مع تلك الضجة ، التي صنعتها واحدة من طائرتي (هالتسوم) ،
وهي تعبر فوق الهليوكوبتر ، وتتجاوزها ، ثم ترتفع في سرعة

مدحشة ، بدت معها الهليوكوبتر أشبه بملحقة طائرة ، وتَجَرَّ لها اليأس في نفس (هارولد) ، وهو يقول :

- لقد هلكنا .

وفي نفس اللحظة ، ارتفع صوت صارم ، غير لاسلكي الهليوكوبتر ، يقول :

- استسلم يا قائد الهليوكوبتر ، أو نطلق التيران على الفور .
هتف (هارولد) منهزماً :

- ليس أمامنا سوى الاستسلام .

لم يجب (أدهم) ، وإنما انصرف يساراً ، وانخفض بالهليوكوبتر على نحو مباغت ، فصاح به (هارولد) :

- ماذا تفعل أيها المجنون ؟ .. أنتوى المقاومة ؟

أجابته (أدهم) في هدوم :

- بالتأكيد .

نقل إليهما اللاسلكي - عندئذ - صوت قائد (الفانتوم) ، وهو يقول :

- من الواضح أنه يرفض الاستسلام يا مستر (فوستر) .. ماذا ينبغي أن تفعل ؟

حمل اللاسلكي صوت (فوستر) ، وهو يصرخ :

- اتسله .. اسحقه سحقاً .. المهم ألا يذهب بعيداً .

تلقى قائد (الفانتوم) الأمر ، ف أشار إلى زميله ، وإلى الهليوكوبتر ، التي انخفضت إلى أقصى حد ، وراحت تنطلق بمحاذاة الطريق ، على ارتفاع لا يتجاوز الأمتار الثلاثة ، وغصم :

- هيا .. فلتنه العملية بسرعة .

القتت الطائرتان على الهليوكوبتر من الجانبين ، وقال قائد (الفانتوم) الأولى :

- وقاته تدريب عملي .

وضغط زر الإبطي ، فانطلق من أسفل جناح الطائرة الأيسر صاروخ صغير ، شق طريقه في الهواء بسرعة ، و ...

وانساب الهتف ..

ودوى الانفجار ..

انفجار شديد ، حوّل الهليوكوبتر إلى أشلاء متناثرة ، تبعثرت على مسافة واسعة ضيقة ، واشتعلت التيران في بقاياها الصغيرة ، لمط قائد (الفانتوم) شقيقه ، وغصم :

- إنهم لا يتعلمون أبداً .

ثم اتصل - (فوستر) لاسلكياً ، وقال :

- تمت المهمة بنجاح يا (فوستر) .

تأملت عينا (فوستر) في سعادة وتلّهر ، وقال :
 - عظيم .. لقد قضينا على الشيطان مرة ثانية .
 وتضاعف بريق عينيه ، وهو يضيف في زهو :
 - قضينا على (أدهم صبرى) ..

★ ★ ★



١٠ - السقوط ..

تم ييد (فوستر) - في حياته كلها - أكثر متعة وإرتياحا ،
 مثلما بدا في تلك الليلة ، وهو يجلس في سيارة خاصة ، تنقله
 إلى مكتبه ، في ساعات الفجر الأولى ، وإلى جواره (دالى) ،
 الذى يقول :

- إذن فقد تم القضاء عليه .. هذا عظيم ورائع يا سيدى ..
 لقد أسعنى هذا تماما ، عندما اتصلت بي لاسلكيا ، وأبلغتني
 الخبر ، وهرعت إليك بهذه السيارة على الفور ، و ..
 سمعت بقتة ، ثم انخفض صوته ، وهو يستطرد في حذر :
 - ولكن هل يمكننا اعتبار المهمة ناجحة ؟
 أجابه (فوستر) :

- بالتأكيد .. ألم نقض على ذلك المصيرى الأسطورة ؟
 قال (دالى) بنفس العنبر :
 - ولكننا قللنا (هارولد) أيضا ، وليس لدينا دليل واحد ، على
 أن خصمنا كان (أدهم صبرى) نفسه ، و ..
 قاطعه (فوستر) في حدة :

- كلنى يا (دالى) .. إننى سعيد للغاية الليلة ، ولست أحب أن

يبدو على أي مخلوق سعادته .. سلفتر في كل هذا فيما بعد .
وصمت لحظة ، ثم استعرد في صرامة :

- صحيح أننا فقنا (هارولد) ، ولكن ما قيمته ؟.. أنت تعلم
مثلي أنه لم يكن ليعترف بحقيقة هويته أبداً ، وذلك الشيطان
المعصرى نجح في تهريب التجاسوسين الآخرين ، مما يعنى أنها
كانت في مجملها قضية فاشلة والشرء الوحيد ، الذى يمكن أن
يحول هذا الفشل إلى نجاح ، هو القضاء على (أدهم صبرى) ..
وأتست على شغفه بتهامة جثة ، وهو يتابع :

- لقد اتصلت بـ (إريك باراهودا) ، وأخبرته بما حدث ، ولقد
بهذه هذا تعاوناً ، وأسعده للغاية ، وأبلغنى أنه يدعونى لتناول
العشاء معه غداً ، على نفقته الخاصة ، احتفالاً بهذه المناسبة ..
هل تصفق هذا ؟.. (إريك باراهودا) يدفع ثمن العشاء من ماله
الخاص ؟

فهذه ضاحكاً ، على نحو أدهش (داتى) ، الذى لم يره أبداً
سجداً إلى هذا الحد ، فالتسم في حيرة ، وهو يشغم :

- هذا عظيم بالتأكيد أيها الرئيس .
بلغت بهما السيارة مكتب (فوستر) ، عند هذا الحد ، فاضاف
(داتى) فى قلق ، وهو يتطلع إلى عدد من السيارات ، يلق أمام
السبلى :

- ماذا يحدث هنا بالضبط ؟ .. إننا فى القجر ، والعمل لم يبدأ
بعد .

غانر (فوستر) السيارة فى تساؤل ، وقال لأحد الرجال ، الذين
يقفون أمام مكتبه فى صرامة :

- ماذا تفعلون هنا ؟ .. ومن أنتم ؟
أبرز أحدهم شارته الخاصة ، وهو يقول :

- إننا فريق من الشرطة الفيدرالية (ف.ب.ى. آى) .. ونحن هنا
بمصلحة القاضى ، وهو ينتظرك فى مكتبه ، مع مدير المخابرات .
شعر (فوستر) بالقلق حقيقى .. وهو ينقل إلى مكتبه ، ونقل
بضربه بين القاضى ، ومدير المخابرات ، و (فرائد جبر) ، وعدد
آخر من الرجال . قبل أن يقول ، فى لهجة حاول أن يجعلها
متسامحة هائلة ، فأتت على الرغم منه مرتجلة عصبية متوترة :
- مرحباً بكم فى مكاتب أيها السادة .. لا ريب أنه سبب بالغ
الأهمية ، الذى أتى بكم . فى مثل هذا الوقت .

أجاب القاضى فى صرامة ، وعلى نحو مباغت ومباشر :
- (جيمس إدوارد فوستر) .. إننا نلقى القبض عليك ، بتهمة
تجاوز سلطاتك ، ومخالفة القوانين والمستور ، والقيام بأعمال
ذات صفة إجرامية . و...

هتف (فوستر) مقاطعاً :

- جهلاً أيها السادة .. أرى قول أحقق هذا ؟ .. إننى (جيمس فوستر) ... الرجل الذى يدفع دمه وأعصابه ، فى سبيل وطنه ، فكيف ؟

قال أحد الرجال ، المصاحبين للقاضى :

- انظر دفاعك للمحاكمة يا فوستر (فوستر) ، أما الآن ، فمن حطك أن نصمت ، وألا نتحدث إلا أمام محام ، و ...

قاطعه (فوستر) قائلاً :

- ماذا تقول يا رجل ؟

أجابته الرجل فى هدوء :

- إننى أقرأ عليك حقوقك ، قبل إلقاء القبض عليك ، طبقاً للقانون .

صاح (فوستر)

- حقوقى ؟ .. هل أصبحت مجرماً ؟ .. إننى أشرف رجل فى هذا الوطن علىه .

قال القاضى فى صرامة :

- الشرفاء لا يخالفون القانون ، ولا يتجاوزون سلطتهم ، أو يذرون تصريحات بتوقيعات الغير يا (فوستر) .

لوح (فوستر) بفراغته فى ثورة ، وهو يهتف :

- إننى رجل مخبرات .. ألا تعلمون هذا ؟ .. فى علمنا لا

يوجد شيء اسمه القانون أو المخالفات .. إننا نفعل أى شيء فى الدنيا ، لنحمي الوطن ، ونقيه شر أعدائه .

قال (فرانك جيز) فى صرامة ، متمرج بشيء من الشجاعة :
- يبدو أنك تلهم عمل المخبرات على نحو خاطئ يا عزيزى (فوستر) .

التفت إليه (فوستر) فى غضب ، صاخاً :

- هذا أفضل من أن أكون جاسوساً إسرائيلياً مثلك يا عزيزى (فرانك) .

شغب وجه (فرانك) فى شدة ، وأصمت عبون الجميع فى ذهول ، وهتف منير المخبرات :

- (فرانك) .. أهذا صحيح ؟

لوح (فرانك) بكفيه فى ارتباك ، وهو يقول :

- سيدي .. الواقع أننى ..

قاطعه (فوستر) فى ثورة :

- لا تحاول الإنكار يا (فرانك) .. إننى أمتلك كل الأدلة ..

صور .. وثائق .. وحتى تسجيلات لمخالفات هاتفية .. إننى

أمتلك ما يكفى لتفكيك مدى الحياة يا رجل .

انهار (فرانك) فوق أقرب المقاعد إليه ، وأخفى وجهه بين

كفيه ، في صورة بدت أشبه باعتراف واضح صريح ، لا يقبل
الجدل ، و إن صمت نام على الحجرة ، قطعته القاضى ، وهو
يقول :

- يبدو أنها ستكون قضية أضخم مما تتصور .. هيا يا رجال ..
سنلقى القبض على (فوستر) ، و (فرايك) ، و (دانى) ..
ولنتفكر القضية بكل قوتها .
اتهار (فوستر) بدور ، وهم يحيطون بمعصية بالأنغلاق .
وراحت أصداقه تصرخ بسؤال واحد ..
من فعل بي هذا ؟
من ؟ ..

أنت ..

هناك (هارولد) بالكلمة ، وهو يجلس إلى جوار (أدم)
صبرى ، في سيارة رياضية سريعة . تعبر بهما شوارع
(نيويورك) ، في ساعات الفجر الأولى ، قبل أن يتابع مبهورا :

- أنت أوقعت به (جيمس فوستر) ١٢ عيب ١٢

أجابه (أدم) في هدوء ، وهو يقرأ السيارة :

- هو الذى منعنى الخبل ، الذى شنته به يا صديقى ، عندما
تحدث معى عن ذلك التصریح المزيف ، وهو يظننى مساعده

(دانى) .. كما مساعد على هذا تجاوزه الدشم للقوانين ، وكأنه
يعمل بلا رقابة أو سلطة أكبر .. ألا تعلم العقل الشهير فى (مصر)
يا صديقى .. سر فى طريق مستقيم ، يحار عدوك فى الإقلاع
بك ؟

هز (هارولد) رأسه فى التدهار ، وهو يقول :

- يا الهى .. كم يدعشنى أن ألقى بشخص مثلك ، فى هذا
العالم .. إنك معجزة يا رجل .. لن أنسى أبدا تلك اللحظة ، التى
فلزنا فيها من الهليوكوبتر ، على ارتفاع ثلاثة أمتار ، بعد أن
أشعلت القيادة الآلية ، وتركتهم بها جمود هليوكوبتر خالية .. إنك
عبقرى وداخية .. لم أتصور أبدا أنك تحتفظ بهذه السيارة
الرياضية ، فى مكان قريب .. من الواضح أنك تعد لكل شيء
عنته ، وتدرس كل الاحتمالات ، حتى أكثرها صعوبة ، وأقلها
احتمالا .

أجابه (أدم) فى هدوء :

- هذا حمضى فى مهنتنا يا صديقى .

تطلع إليه (هارولد) فى اهتمام ، وهو يسأله :

- مهنتنا ١٢ . أنتهى أنك تنسئ إلى جهاز المخابرات .

صمت (أدم) لحظة ، ثم أجاب :

- يمتلك أن تقول هذا

قال (هارولد) في دهشة :

- أي جواب هذا ؟ .. (إما أنك تنتمي إلى المخابرات أو لا .
تفهم (أدهم) ، نعم أن يجيب . وانتظر (هارولد) الجواب في
الاهتمام والفضول ، ولكن (أدهم) أشار أمامه ، قائلا :
- لقد وصلنا .

قائلا وهو يصر بؤابة مطار خاص ضخم ، تراصت داخله عدة
مطارات صغيرة فسأله (هارولد) :
- حسنا .. أخبرني فقط .. هل مستقل مرتديا قناع (فوستر)
هذا ؟ ..

أن تكشف عن وجهك الحقيقي ؟

لم يجب (أدهم) عن هذا السؤال أيضا ، وإنما أوقف سيارته
عند طائرة خاصة ، وهبط منها ، وقال للطيار ، الذي بدا وكأنه
في انتظاره :

- أهذه طائرة سنيور (أميجو) ؟

اعتدل الطيار ، وأجاب :

- نعم يا سنيور .. آلت ..

أجابه (أدهم) :

- سنيور (لوبيز) ، وهذا صديقي مستر (هاردي) .

قال الطيار ، في احترام بالغ :

- مرحبا بكما يا صديقي .. لقد تلقيت أمرا من سنيور (أميجو) ..
بإقلكما على طائرته إلى (المكسيك) ، على وجه السرعة ..
تفضلنا .

لم تمض دقائق معدودة ، حتى كانت الطائرة تحلق بهما ، في
طريقها إلى (المكسيك) ، واسترخى (أدهم) في مقعده . وأرسل
جلفيه ، ولكن (هارولد) سأله في صوت خافت :
- المعروف أنك (أميجو) هذا .. أليس كذلك ؟
ابتسم (أدهم) ، مخففا :

- استنتج ما يحلو لك .

سأله (هارولد) في دهشة :

- لماذا ترفض الإفصاح عن شخصيتك ؟

أجابه في خفوت :

- لدى أسبابي .

قال (هارولد) في حيرة :

- ولكنك مصري مثلي .. لهجتك تؤكد هذا .

ابتسم (أدهم) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

- لم يكن من الحكمة أن تكون هذا يا صديقي ، فربما كان كل

ما حدث مجرد دعاية من المخابرات الأمريكية ، نيهامك بالنجاة ،
ودعيت للكشف عن حقيقة هويتك .

استلم وجه (هارولد) ، وهو يقول :
- أنت على حق .

ثم استغرق في سرعة :

- ولكن الأمر يختلف معك .

سأله (أدهم) في تكاسل :

- لماذا ؟

أجاب (هارولد) في لهجة صادقة مخلصية :

- إنني أثق بك .

ابتسم (أدهم) مرة أخرى ، وقال :

- هذا يسعني ، ولكن في عالمنا لا تكفي الثقة وحدها ،

لتكشف أوراقنا على هذا النحو .

قال (هارولد) في خزم :

- أنت على حق ، وعلى الرغم من هذا ، فسأخالف القاعدة

بكل سرور ، وأكشف لك عن أهم أسرائي .. عن اسمي

الحقيقي .. اسمي الذي لم أسمعه أو أستخذه ، منذ زمن طويل .

واعترف مستطردًا :

- اسمي (هاشم) .. (هاشم درويش) .

اقترب ثغر (أدهم) عن ابتسامة هائلة ، وهو يفلق عينيه ،
فقال :

- أعرف هذا .

هتف (هارولد) في دهشة :

- تعرفه ؟ .. ولكن هذا مستحيل .. لا يعرف اسمي الحقيقي

سوى الصلوة ، من رجال المخابرات المصرية .

غمغم (أدهم) :

- هذا صحيح .

حنق (هارولد) في وجهه لحظة ، في اهتمام بالغ ، ثم قال :

- إنك تحبوني في الواقع يا رجل .. إنك مقاتل فريد ، لا يشق

له غير ، وعبقري في التخطيط والتنفيذ .. وعامض للغاية ،

وتملك ثروة ضخمة ، وطائرة خاصة ، وجسارة بلا حدود .. من

أنت بالضبط ؟

تمتم (أدهم) :

- صديق .

قال (هارولد) :

- فقط .

احتقل (أدهم) ، وقال ، مغيرًا الحديث فجأة :

- اسمعني جيدًا يا (هاشم) .. عندما نصل إلى المكسيك ،

ستجد جواز سفر دبلوماسيًا ، سلمه لك صديقنا (قنوي) .

يحمل اسمك المصري الحقيقي ، وألف دولار . وعقوبة ملائس ...
وكل ما أطلبه منك هو أن تستقل أول طائرة إلى (القاهرة)
مباشرة .

وعاد يسترخى في مقعده ، مستظردا :

- لقد انتهت مهمتك الطويلة ، في الولايات المتحدة
الأمريكية . وأن لك أن تعود إلى الوطن .
قالها وأسيل جفنيه هذه المرة ، واستسلم لجسده المكنود ،
ونام ..

نام في عصف ..



١١ - الختام ..

اسمك مدير المخابرات المصرية ذقته ، بسببته وإيهامه .
وهو يطالع تلك البرقية الشفرية ، التي أرسلها (هارولد) ، من
على متن الطائرة ، التي نقله إلى (القاهرة) . وبدأ شديد الاهتمام
بكل حرف من حروفها ، و (أشرف) يلفح بذراعيه أمامه ، هاتفا
في مزيج من الدهشة والحيرة :

- لم أعد أفهم ما يحدث .. الجميع نجوا .. حتى (هارولد)
نفسه ، وفي (أمريكا) يلقون القبض على (فوستر) و (فرائك) .
و (داني) ، ولا أحد يمكنه إثبات تورطنا في الأمر .. نجاح رائع ،
لم تكن تعلم به . ومون أن نرسل أحدا من رجالاتنا .

رفع المدير عينيه إليه ، وقال :

- وربما أرسلنا أفضل رجالاتنا .

هتف (أشرف) :

- كيف ؟

التفت المدير إلى (موني) و (أندري) ، اللذين يجلسان أمامه .
وقال :

- هل أجد لديكما جوابا ؟

هزت (منى) كتفها ، وقالت فى هدوء :

- إثنى لم أر وجه من أنفنى .. كنت فاقدة الوعي فى المستشفى ، واستيقظت لأجد نفسى فى السفارة ، و ... تجاهل المدير باقى حديثها ، وهو يلتفت إلى (قبرى) ، ويستأنه :

- وماذا عنك ؟

تنحنج (قبرى) ، والتقط نفساً صعباً ، واعتزل فى مقدمه ، وقال فى حماس :

- كانت ليلة شديدة الظلام ، وكنت نائماً فى عمق ، و فجأة .. كان يقفز من مقعده ، وهو يلوح بذراعيه ، على نحو مسرحى ، مستعزاً :

- ظهر ذلك الرجل .. ضخيم .. طويل القامة ، له وجه نحيل ، ونظرات قوية ، وطلب منى أن أذهب إلى السفارة ، وأخبرتني أنني سأجد (منى) هناك ، و ...

شعر المدير بالتضجر ، إزاء هذا التكذب المفضوح ، فقاطعه قائلاً :

- لماذا سافرت إلى (المكسيك) ، ومنها إلى (أمريكا) ؟

ابتسم (قبرى) ، وهو يقول :

- نوع من السياحة العلاجية ، فقد أخبرني بعضهم بوجود

مركز متخصص فى تخفيض الوزن ، فى (أكابولكو) ، وسأها ذهبت إلى ...

للمرة الثالثة فاطعه المدير :

- كفى يا (قبرى) !

رسم (قبرى) على وجهه أكبر قدر من الطيبة والسذاجة ، وهو يبتسم قائلاً :

- ألا تصدقنى يا سيدى ؟

ابتسم المدير بمرور ، قائلاً :

- من قال هذا ؟

ثم التفت إلى (حسام) ، الذى يجلس فى نهاية الحجرة ، يطالع الموقف فى صمت ، وسأله فى هدوء :

- هل تصدق حديثهما هذا ؟

أجاب (حسام) فى جنبة :

- ولا حرف واحد منه .

ثم اعتزل ، وأضاف :

- صحيح أننى لم أر وجه متفانى ، وأننى لم أشعر إلا وأنا هنا ،

فى قلب (القاهرة) ، ولكننى طالت كل ما سجلته مخاير اتنا ، عما

حدث هناك ، فى (نيويورك) ، ويمتكنى الهزم بعدد من الأمور ،

لا تقبل الشك .. أولها أن هذا الشخص محترف ولا شك . وليس

مجرد محترف .. إنه شخص يزاول هذه المهنة ، منذ نعومة
أظفاره .

ابنسم العنبر ، قائلا :

- عظيم .. وماذا أيضًا ؟

تابع (حسام) :

- وثانيًا : أنه رجل ينتمى إلى (مصر) .. وبشدة ، حتى

ليخاطر بكل نفيس لديه .. حتى بحياته نفسها ، في سبيلها ، دون
أن يهتم حتى يكشف اسمه .

ثم تطلع إلى (قنرى) ، مضيفًا :

- وثالثًا .. إنه رجل يعرفه (قنرى) جيدًا .

هتف (قنرى) :

- ولماذا أنا بالذات ؟

أجابه (حسام) :

- لأن الشخصيات التي انتحلها هذا الرجل ، كانت تحتاج إلى

عدد من الوثائق والهويات والبطاقات المزيفة ، وهذا يبرز سفره

إلى (المكسيك) .

تخلج (قنرى) في حرج ، وهو يقول :

- يبدو أنك أخضات فهم الموقف .. إننى ..

ابنسم المدير ، وهو يقاطعه هذه المرة ، قائلا :

- لا داعى يا (قنرى) .. قلت : إننا نصدك :

ثم تراجع في مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ،
مستطردًا :

- كل ما أطلبه هو أن يكتب كل منكما تقريرًا عما حدث .. من

أصل وثلاث صور كالمعتاد .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

- أما بالنسبة لملاكنا الحارس ، الذى تجهل جديفًا اسمه

وهويته ، فلن نحاول التدخل في شلونه مؤقتًا ، وسترد له حرية

اختيار الوقت المناسب ، للإعلان عن نفسه ، وعن عودته إلى

عالمنا ، فلا ريب أن لديه من الأسباب القوية ، ما يجبره على

هذا ، ولكن ..

صمت لحظة ، بعد كلمته الأخيرة ، فتعلقت به كل العيون ، قبل

أن يستطرد بإثباته ارتياح :

- ربما يحتاج منا الأمر إلى إسناد قضية الخرى إليه في

المستقبل .. أليس كذلك ؟

غمضت (منى) :

- لست أظنه يتردد في تنفيذها .

واضال (قنرى) :

- بكل تأكيد .

تسلل الارتجاج إلى إهتسامة المدير ، واعتبر قول (منى)
(أخري) تأكيداً لفكرته ، على الرغم من غرابتها وجنونها .
فقال :

- شيا .. انتهى الاجتماع .. يمكنكم الانصراف .

غادر ثلاثتهم الحجرة ، وعلى بابها ، استوقف (حسام)
(منى) ، وقال في لهجة شديدة الجدية :

- (منى) .. أعتقد أنني أدين لك بالاعتذار .

- سألته في خيرة :

- عن ماذا ؟

- أجاب في حزم :

- عن رغبتي في الحصول على القلب .. اسمعني جيداً ..

عندما تتلقين به ، في المرة القادمة ، أخبريه أنني أعترف بأنه

لا يوجد سوى واحد فقط ، في العالم كله ، يمكنه أن يجعل هذا

القلب ..

واقنسي صوته بالاحترام والتقدير ، وهو يضيف :

- لقب (رجل المسحوق) .

قالها وابتعد في خطوات سريعة ، وترك (منى) وحدها ،

تتابعه ببصرها في صمت ، وهي تسأل نفسها ..

هل ستغير ، عندما تلتقي به مرة ثانية ؟ ..

وهل ستلتقي به مرة ثانية ؟

هل ؟ ..

وصل (أدهم) بسيارته إلى المزرعة الشاسعة ، في (كيواوا)

المكسيكية ، وتوقف أمام ذلك القصر الصغير في شتلتها ، ولم

يكذب بفكر السيارة ، حتى هزعت إليه سربية طفلة ، هائفة :

- سنبور (أميجو) .. حمدا لله على عودتك سالماً .

وأطلق حصانه المفضل صهيلاً قوياً ، وكأنه يرحب به بدور .

فابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- مرحباً بكم جميعاً .. كيف حال الصغير ؟

ارتبكت السربية ، وهي تقول :

- الصغير ؟ .. إنه .. أعني أن ..

سألها في توتر :

- ماذا به ؟ .. هل أصابه مقروه ؟

هزنت :

- كلا إنه بخير .. ولكن ..

ترجعت مرة أخرى ، فابتعد حاجباه في شدة ، والدفع إلى داخل

الغسر ، وصعد إلى الطابق الثاني بقلزتين قويتين ، ودفع باب
حجرة طفله ، ثم تضاعف انطاد حاجبيه ، وهو يتطلع إلى الحجرة
الخالية ، قبل أن يقول :

- أين الصغير ؟

لمحت به المربية ، وهي تهت في شدة ، وأجابت :

- الصغير مع السنيورا (نورما) .. لقد .. لقد ..

تهت مرة أخرى ، قبل أن تستطرد :

- لقد رحل .

رلد في ثور :

- رحل ؟ .. ماذا تعنين ؟

أجابته لاهة :

- لقد جمعت السنيورا (نورما) كل ملابسها وملابس الصغير ،

ورحلت ..

غلف (أدم) :

- ماذا تعنين ؟ هل هربت ؟

أجابته مدعورة :

- لست أدري يا سنيور .. أقسم لك .. كل ما قالته هو : إنها

سترحل مع الصغير ، ولم تعد وجهتها ، وتقول : إنها تركت لك

رسالة في حجرتها .

تركها (أدم) ، واندفع نحو حجرة (سونيا) ، ودفع بابها
بكنمة في عنف ، ولحق نحو المنضدة الصغيرة المجاورة للرائش
(سونيا) ، والتقط مقروفاً مغلفاً ، فنهض في عنف ، وانتقط من
داخله صورة لطفله ورسالة ، تقول كلماتها المكتوبة بالعربية :

.. عزيزي (أدم) .. لقد تركتني من أجل امرأة أخرى ، وما
من امرأة ، في العالم أجمع ، يمكن أن تفكر لزوجها هذا .. ولقد
وعدتك أن تلتم علي هذا يا (أدم) .. وستندم .. ستندم أشد
الندم .. صحيح أنك منفتى من كشف شرك ، أمام (إيزاك
باراهودا) ، ولكن هذا لن يعننى من الانتقام منك .. لقد عدت
إلى هنا ، وجمعت كل متعلقاتي ومتعلقات الطفل ، وتركته لك ثيابك
وأدواتك ، وعشرة ملايين دولار ، كلها مسجلة باسمك ، منذ
ابتضا هذه المزرعة ، ولم يمكفنى استعادتها للأسف .. وعندما
تعود ، أكون قد رحلت أنا وطفلا ، إلى جهة لن تعلمها قط ، ومعنى
ما يقرب من ثلاثين مليوناً من الدولارات .. وفي مكان ما من
العالم ، وبمعاونة المال ، الذي يفتح كل الأبواب المعلقة ، ستنتهى
(نورما كرينهال) ، كما انتهت (سونيا جراهام) من قبل ،
وستظهر امرأة جديدة ، باسم جديد ، ووجه جديد .. وما أسهل
تغيير وجوه النساء يا عزيزي .. أما اينك ، الذي أعلم أنك تحمل
له كل حب الدنيا بين ضلوعك ، فلن تراه بعد اليوم أبداً يا (أدم) ..
حاول أن تتسى أنك تُنجهته منى يوماً ، وسأحاول أن أنسى أنني

أنجيتك منك .. أما عن (ملى توفيق) .. تلك المرأة التى أحببتها ،
والتي ترفقتى من أجلها ، لمعتك العودة إليها .. (نلى أنتازل عنك
لها ، وحاول أن تجعلها تنجب لك ابناً آخر ، بدلاً من ذلك الذى
أنجيتك لك أنا ، والذي سيحصل حتماً الجنسية الإسرائيلية ، لأن أمه
يهودية .. كما ينص القانون الإسرائيلى (*) .. والآن قل وداعاً
يا (أدهم صبرى) .. قل وداعاً لابنك .. وإلى الأبد .. (سونيا
جرامام) .

اعتصر (أدهم) الرسالة فى قبضته ، كما اعتصر الأثم والعز
والمرارة قلبه ، وأطل غضب الدنيا كلها من عينيه ، وهو يقول :
« هراء يا (سونيا) .. سأستعيد ابنتي أيتها الأفعى .. سأستعيده
حتى لو جئت للعالم كله ، وقتبت كل حجر فيه ، من أجل هذا .
وصرخ فجأة :

« سأستعيده بأذن الله يا (سونيا) ..

واعتصر الأثم قلبه أكثر ..

وأكثر !

وأكثر ..

[تمت بحمد الله]

(*) اتفاقية ، للقانون الإسرائيلى بفتح الجنسية ، لكل من ولد لأم يهودية فقط .